﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾

نهاية الصهيونية في الآيات القرآنية

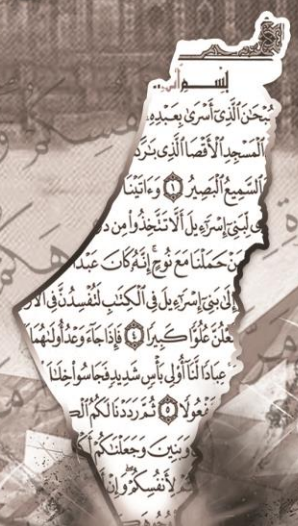

الشيخ
كمال معطار

جميع الحقوق محفوظة للمؤلـفين

منشورات الدار المختارة للطباعة والنشر والتوزيع
باتنة 2023

ISBN: 978-9931-853-03-9

الإيداع القانوني لسنة 2023

العنوان: تجزئة جرو الذيب طريق بسكرة
بجوار قصر العدالة مقابل مدرسة النقل - باتنة
هاتف/فاكس: 00 38 25 033
البريد الإلكتروني:
email: elmokhtaraimp1@gmail.com

مقدمة :

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولد وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله صدع بالحق ولم يخش في الله أحد، صل اللهم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين أما بعد :

فقد شهد الصراع الإسلامي الصهيوني لإثبات الوجود والتغلب على الآخر في الأرض المقدسة أطوارا وملاحم بعد أن دس الاستعمار الانجليزي جرثومة بني إسرائيل في فلسطين بين جنبي المسلمين تحقيقا لوعد بلفور المشئوم، وطال أمد الصراع الذي تكبد المسلمون فيه خسائر في الأرواح والأرض نظرا للدعم الغربي النصراني الساذج، ثم فقد الكثير الأمل في تطهير أرض الإسراء من براثن الصهيونية فطبع المطبعون وانبطح آخرون مع كيان اسمه على اسم نبي هو بريء من عقيدة وجرائم أصحابه.

وفي خضم التخاذل والفشل الذي بدا على الأمة وانكسار روحها المعنوية وجدت نفسي مندفعا إلى كتابة هذا الكتاب المنطلق من بشارات قرءانية للمسلمين باقتراب إنهاء ظلم وإفساد بني إسرائيل الذي دام عقودا من الزمان، استنادا إلى الإرهاصات المذكورة في القرءان والتي بدأ بعضها في الظهور، و بينت شروط إتمام هذا النصر القادم لا محالة إن شاء الله باستنباط الوصايا الإلهية القرءانية الموجهة لهذه الأمة لإنجازه واستعنت باستقراء السنن الربانية المبثوثة في كتاب الله وربط معاني السور المتجاورات مع بعضها بعضا وكذا معاني ودلالات الآيات وفق علم المناسبة والتناسب في النسق والسياق القرءاني وكذلك مراعاة وحدة الاستعمال اللفظي للكلمة في بنية السورة القرءانية الواحدة، وبالاعتماد على كل هذه المرتكزات نحصل على منهج في التفسير يجعل من فهم المعاني القرءانية فهما مجملا غير مجزئ

ويفتح الآفاق لإدراك كثير من التوجيهات الخفية المفيدة التي تحتاج إلى استنباط.

وكيف لا ترجع الأمة إلى كتاب الله في رد عدوان اليهود والتغلب عليهم وهو المفصل المبين لكل شيء يطرأ علينا ومعه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتهاد أهل النظر المستنبطين للحلول منهما وفق الفهم الدقيق للواقع ومتطلباته.

قال عز وجل﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ النساء: ٨٣

وقال﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ النحل: ٨٩

ويروي مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب في الصحابة فقال :

﴿ ألا أيها الناس فإنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين :

أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ﴾ فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال :

﴿ وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي﴾.

فعلى الأمة الإسلامية أن تعلم أنها ستحاسب عند الله يوم القيامة حسابا عاما على مسؤوليتها تجاه الأقصى والقدس حين تجد ما قدمته في كتاب خاص بتدوين مواقف الأمة وأعمالها تجاه القضايا الكبرى المشتركة والواجبات الجماعية، وهو كتاب يختلف عن كتاب أعمال الأفراد الذي يأخذه الإنسان إما باليمين وإما بالشمال عند تطاير الصحف، فتدعى كل أمة عايشت أي عصر من العصور إلى كتابها الذي دونت فيه المواقف الجماعية لها قبل أخذ كتاب المحاسبة الفردية المتمم والفاصل في مصير الإنسان ويظهر ذلك جليا للمتأمل في هته الآيات التي يخاطب الله فيها كل أمة على حدا لتتقدم لتعاين الكتاب الخاص بها .

قال الله عز وجل﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الجاثية: ٢٧ - ٢٩

ناهيكم عن الكتاب الشامل الشاهد على كل الحوادث والأعمال منذ أن بدأ الخلق إلى قيام الساعة وقد قال الله عنه ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ الكهف: ٤٧ - ٩٤ وقال ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الزمر: ٦٩

وقال ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢ ﴾ يس: ١٢

فنسأل الله العلي القدير النجاة في الدنيا ويوم الدين، وأن ينفعنا بالقرءان الكريم وبما فيه من الذكر الحكيم وأن يجعله قائدا لنا في الدنيا إلى النصر المبين، ويوم القيامة إلى جنات النعيم.

الشيخ : كمال معطار

إنهاء إفساد بني إسرائيل في القدس:

قال الله عز وجل في سورة الإسراء ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ٢ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ٧ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ٨ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَا ١٠ ﴾ الإسراء: ١ - ١٠

ففي هذه السورة المباركة إعلام من الله عز وجل لبني إسرائيل بصيغة فعل الماضي

﴿وَقَضَيۡنَآ﴾ الذي يفيد حدوث الفعل في الحال واللحظة التي يقع فيها الخطاب ويؤيد ذلك القرائن الدالة على ذلك من سياق الكلام وتناسبه مع بعضه بعضا والقرائن التي سنذكرها إن شاء الله.

فالإعلام بهذا الأمر الغيبي الذي سيقع من إفساد لبني إسرائيل في الأرض له علاقة بإسراء النبي صلى الله عليه وسلم المذكور قبله من أرض مكة المقدسة عند

المسلمين إلى أرض القدس المقدسة عند المسلمين وعند بني إسرائيل ثم ذكر الله بني إسرائيل ونبيه موسى قبل أن يقول ﴿وَقَضَيۡنَآ﴾ لنفهم من ذلك أن الصراع المخبرعنه سيقع بين هاتين الأمتين اللتين ذكر نبييهما ابتداء وتمهيدا للتفصيل فيه وبذلك يتعين طرفي الصراع و تتعين الأرض المتصارع عليها إذ أن كلا الأمتين ترى أنها الأحق بالقدس فهي محل النزاع و الصراع.

وعليه فإن الإفسادين المخبر عنهما في السورة لم يقعا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم والإسراء به كما ذهب إليه بعض المفسرين لما قالوا أن زمنها كان أثناء دولة بني إسرائيل التي قضى عليها الأشوريون على يد سرجون الثاني ثم قضى عليها مرة أخرى البابليون على يد الملك البابلي بختنصر ومنهم من عد تسلط الرومان بعد ذلك على اليهود وإبادة دولتهم إنهاء لإحدى الإفسادين، ومنهم من قال أن ذلك وقع زمن جالوت وجنوده فأباد دولتهم تم انتصر عليه بنو إسرائيل وقتل داوود جالوت كما قصه علينا القرءان،وكل ذلك بعيد .

قال الله عز وجل ﴿وَقَضَيۡنَآ﴾ فعل ماض يفيد الإخبار في زمن الحال واللحظة بما هو قادم ومترتب على معجزة الإسراء والفعل الماضي له دلالات كثيرة في اللغة تفهم من السياق وقرائن المعاني منها ما ذكرنا ومنها ماهو آت .

قال تعالى ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥﴾ الإسراء: ٤ - ٥

أي فإذا حان أوان زوال الإفساد الأول قيضنا لهذه الوظيفة عبادا من أمة النبي صلى الله عليه وسلم فاجتاحوا دياركم وأخرجوكم منها ومن القدس وسلبوا منكم سلطانكم وأنهوا إفسادكم الأول وهذا الوعد هو الذي ينتظر المسلمون بفارغ الصبر تحققه في هذا الزمان، وما يرجح هذا المعنى الاستعمال القرءاني لمصطلح وعد أو

الوعد أو وعدا بإسكان العين دائما في خطاب الله لعباده عند الإخبار بأمر مستقبلي غيبي فيه البشرى والخير للمسلمين سواء كان سيتحقق في الدنيا أو في الآخرة أو انتصار للمؤمنين على الكافرين سواء كان انتصارا معنويا أو بالقتال أو بإهلاك من الله أو قيام الساعة لما فيها من إحقاق للحق وخزي لأهل الباطل ومن أمثلة ذلك إخبار الله بانتصار الروم على الفرس والذي كان المؤمنون ينتظرونه بفارغ الصبر إذ كان تحققه يعد إثبات لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ونصر معنوي للدعوة الإسلامية .

فقال عز وجل ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ الروم: ١ - ٧

ومثاله في القرءان كثير منه قوله عز وجل ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٥٢﴾ آل عمران: ١٥٢

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ۝١٢٢﴾ النساء: ١٢٢

وحتى عندما يتكلم الله عن وعود غيره في القرءان يكون إسكان العين في وصف وعود الخيرين من عباده لأن وعدهم فيه الخير وجاء ذلك في حق نبي الله إسماعيل

فقال الله تعالى عنه ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾ مريم: ٥٤

أما عن وعود الشيطان لأتباعه و وعود بعضهم لبعض لا نجد فيها ذلك لأنها شر محض كقوله تعالى ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠﴾ النساء: ١٢٠

وقوله ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾ إبراهيم: ٢٢

وقوله عن وعود الظالمين بعضهم لبعض ﴿بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ٤٠﴾ فاطر: ٤٠ **و من يتتبع هذا الاستعمال الاصطلاحي في القرءان يجده منضبط و إليك المواضع التي ورد فيها لفظ وعد ساكن العين فتأملها :**

﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾ آل عمران: ١٥٢

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ النساء: ١٢٢

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ

بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ﴾

التوبة: ١١١

﴿ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤ ﴾ يونس: ٤

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨ ﴾ يونس: ٤٨

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٥ ﴾ يونس: ٥٥

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥ ﴾ هود: ٤٥

﴿ فَعَقَرُواْ هَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ٦٥ ﴾ هود: ٦٥

﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٣١ ﴾ الرعد: ٣١

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢ ﴾ إبراهيم: ٢٢

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ إبراهيم: ٤٧

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ النحل: ٣٨

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾ الإسراء: ٥

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ الإسراء: ٧

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ الإسراء: ١٠٤

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ الإسراء: ١٠٨

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ الكهف: ٢١

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ الكهف: ٩٨

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ مريم: ٥٤

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾ مريم: ٦١

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾ طه: ٨٦

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾ الأنبياء: ٩

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ الأنبياء: ٣٨

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ
مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ الأنبياء: ٩٧

﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا
كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ الأنبياء: ١٠٤

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا
تَعُدُّونَ ٤٧﴾ الحج: ٤٧

﴿لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ١٦﴾ الفرقان: ١٦

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٧١﴾ النمل: ٧١

﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ
لَا يَعۡلَمُونَ ١٣﴾ القصص: ١٣

﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ
ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١﴾ القصص: ٦١

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ الروم: ٦

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ الروم: ٦٠

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ٨ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ ٩﴾ لقمان: ٨ - ٩

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ
شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾
لقمان: ٣٣

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٩﴾ سبأ: ٢٩

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ فاطر: ٥

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨﴾ يس: ٤٨

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾ الزمر: ٢٠

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾ الزمر: ٧٤

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥﴾ غافر: ٥٥

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧﴾ غافر: ٧٧

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢﴾ الجاثية: ٣٢

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧﴾ الأحقاف: ١٦ - ١٧

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥﴾ الملك: ٢٥

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨﴾ المزمل: ١٨

ثم قال عز وجل ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦﴾ الإسراء: ٦

أي الرجوع إلى أرضهم وهي الأرض المقدسة والتسلط عليهم مرة أخرى لأن الاستعمال القرءاني لمصطلح الكرة معناه الرجوع إلى الأمر مرة أخرى بعد تركه ومثاله :

قوله عز وجل اخبارا عن طلب الكفار الرجوع إلى الدنيا يوم القيامة: ﴿فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٢﴾ الشعراء: ١٠٢ و قال تبارك و تعالى كذلك ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤﴾ الملك: ٣-٤

وجاءت كلمة الكرة في سورة الإسراء معرفة بالألف واللام لأنها واحدة معينة ولا يدخل في معناها وجود كرات أخرى مماثلة لها وفي ذلك تيئيس لبني إسرائيل من الرجوع إلى القدس وبسط سلطانهم عليها بعد إنهاء إفسادهم الثاني، بخلاف لوكانت نكرة فتفيد الإبهام للكرة وتدل على وجود كرات أخرى مماثلة لها والمذكورة من بينهم.

قال المولى عز وجل ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦﴾ الإسراء: ٦

أي أمدهم مد استدراج كما جاء في سورة المومنون قوله ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ٥٦﴾ المؤمنون: ٥٥ - ٥٦ وهذا الإمداد لا يعني كثرة عددهم بل هو الرزق بالذرية كقوله تعالى ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ الكهف: ٤٦

﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦﴾ الإسراء: ٦ أي أكثر خروجا لقتال أعدائكم وقد سمى الله تعالى الخروج للقتال في كم من موضع نفيرا فقال في سورة التوبة ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا ٤١﴾ التوبة: ٤١

وقال ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ التوبة: ١٢٢

أما الكثرة في العدد فقد جاءت في القرءان بلفظ ﴿نَفَرًا﴾ كما ورد في سورة الكهف في قوله عز وجل ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ الكهف: ٣٤

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾ الإسراء: ٧ وهي في المعنى كقول الله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ يونس: ١٠٨ فهي تخيير لهم بين الإحسان أو الإساءة.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴿٧﴾﴾ الإسراء: ٧ أي تحقق وعد الله للمؤمنين بالنصر عليكم .

﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ الإسراء: ٧ أي يهينوكم ويغلبوكم قهرا فيظهر الاستياء والذل على ملامح وجوهكم.

﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ﴾ الإسراء: ٧ أي كما دخلوه منتصرين عند إنهاء الإفساد الأول بعدما سلب منهم.

﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ الإسراء: ٧ يدمروا ذلك العلو تدميرا.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ الإسراء: ٨ و فيه ترغيب لبني إسرائيل في التوبة بعد ما سيرونه من تأييد الله للمسلمين بالنصر، و تحذير لهم بنصر المسلمين عليهم إن عادوا لقتالهم ومحاولة الإفساد في القدس مرة أخرى بقوله عز وجل ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ﴾ الإسراء: ٨

وهذا الأسلوب التحذيري يوجهه الله في القرءان للكفار فحسب كما جاء في سورة الأنفال في قوله تعالى ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ

﴿١٨﴾ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأنفال: ١٦ - ١٩

وبقول الله ﴿وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ الإسراء: ٨ **يتبين أن الخطاب التحذيري موجه للكافرين من بني إسرائيل وليس للمؤمنين.**

التفصيل القرءاني في المرحلة الموسوية :

القارئ للقرءان يلاحظ أن الله لم يفصل في قصة نبي مع قومه كما فصل في قصة موسى مع بني إسرائيل، ويبدو أن هذه المرحلة من تاريخ بني إسرائيل فيها دروس كثيرة تفيد أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صراعها مع هذا الجنس البشري الذي سيشكل خطرا عليها إلى قيام الساعة .

قال عز وجل ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ المائدة: ٨٢

وكانت بعثة موسى بداية لارتباط شعب بني إسرائيل بالقدس إذ أنه كان رسولا إلى بني إسرائيل ومكلفا من الله عز وجل بإخراجهم من مصر وتحرير رقابهم من استعباد فرعون واضطهاده لهم ليسيروا معه إلى الوطن المأمورين أن يسكنوه وهو القدس الشريف .

فجاء موسى مع أخيه هارون إلى فرعون ليخبروه أن الله يأمره أن يرسل معهما بني إسرائيل ويتركهم ليخرجوا بسلام إلى القدس.

قال المولى تبارك وتعالى ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾ طه: ٤٦ – ٤٧ **فلما قابل فرعون دعوتهما اللينة الهادئة بالتكذيب والتعذيب والتنكيل ببني إسرائيل ومنعهم من الذهاب إليها كان جزاؤه الإهلاك والإغراق ونجا بنو إسرائيل من شره وكانوا هم الغالبين بعدما كان نصرهم يبدو مستحيلا بالنظر إلى عالم الأسباب المجرد عن الغيبيات، لكن الله سهله ويسره بعدما اشترط موسى عليهم شروطا لا يتم النصر إلا باستيفائها وهي جملة من الشروط النفسية والتعبدية :**

الشروط النفسية: الصبر وقوة التحمل، و التوكل على الله حق التوكل.

الشروط التعبدية: الدعاء، إقام الصلاة.

قال الله عز وجل ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٨٣ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّـَٔا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٧ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨٩ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ فَٱلۡيَوۡمَ

نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

يونس: ٨٣ - ٩٢

ويبدو جليا أن التجربة تكررت مع أمة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا العصر الذي نعيش فيه بتغير الأدوار فالضحية القديم أضحى جلادا على النموذج الفرعوني تماما والمضطهد المتجرع للآلام هي أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويريد اليهود باضطهادهم المسلمين إخراجهم من الأرض القدس التي أصبحت من حق المسلمين بعد إسراء النبي إليها ودخولها ضمن مقدسات المسلمين لاحتوائها على المسجد الأقصى أولى القبلتين وثاني الحرمين .

وبعدما كان فرعون يستفز بني إسرائيل ليحرمهم من السكن في القدس والمسير إليها هاهم الآن هم الذين يريدون استفزاز المسلمين من القدس بنفس الأسلوب الفرعوني القديم من تقتيل أبنائهم واستحياء نسائهم، وستكون نتيجة طغيانهم وظلمهم للمسلمين الخزي والهزيمة لأنهم أرادوا منع أصحاب الحق من حقهم، بل إنهم سيقدمون على تحقيق ما في نواياهم ومخططاتهم من سلب المسجد الأقصى من أيدي المسلمين وإخراج جل الفلسطينيين من القدس الشرقية، ولن يتمالكوا أنفسهم طويلا لفعل ذلك الحمق الذي بدأت تلوح في الأفق بوادره كما نراه من تكثيف الاقتحامات للمسجد الأقصى ومحاولة تقسيمه مع المصلين المسلمين عنوة تقسيما زمنيا ومكانيا، وقضم كل مرة جزء من باحاته وساحاته لتحويلها إلى معابد خاصة بهم، وحين وصولهم إلى غايتهم سيكتمل مشهد الإفساد الأول لبني إسرائيل المذكور في بداية سورة الإسراء لِيليه التدمير الإلهي بأيدي من سيصطفيهم الله من عباده المؤمنين، وهي سنة من سنن الله في الأرض المقدسة يجريها على أيدي من يشاء من عباده، وسيكون ذلك اصطفاء شرف ينبغي لكل مؤمن أن يتطلع إليه، وقد ذكر الله عز وجل هذه السنة في خواتيم سورة الإسراء في قوله:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ١٠١ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ١٠٣﴾ الإسراء: ١٠١ - ١٠٣ **وفرعون كما هو معروف لم يرد باستفزاز بني إسرائيل إخراجهم من مصر بل على العكس كان يريد إبقاءهم تحت وطأة الاستعباد والقهر وكان استفزازه لهم في مصر بتعذيبهم وتذبيح ذريتهم وبملاحقتهم لما خرجوا مع موسى إلى القدس لمنعهم من الوصول إلى الأرض المذكورة في هذه الآيات والمقصود بها القدس، ولذلك لم يستعمل الله لفظ (ليخرجهم منها) كما استعمله لما هدد المشركين في مكة في وسط نفس السورة بسنة الإهلاك إن هم أرادوا إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستفزاز من الأرض المقدسة مكة التي رفع إبراهيم بناء كعبتها ووضع أساسها كعاصمة توحيد الله لتنبت فيها بذرة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المرسول رحمة للعالمين.**

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ البقرة: ١٢٧ - ١٢٩

وقال الله مهددا المشركين في وسط سورة الإسراء ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ٧٧﴾ الإسراء: ٧٦ - ٧٧

ونلاحظ أن كلمة الأرض إذا استعملت مفردة في سورة الإسراء غير مقرونة مع السماوات فإنه يقصد بها إحدى الأرضين المقدستين المذكورتين في مستهل السورة وهما مكة أو القدس، وأرض مكة أخرج منها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأصحابه بطريقة التعذيب والتنكيل والتضييق فانتقم الله من قريش بعد عامين فقط في غزوة بدر الكبرى، وكانت مجرياتها تشبه مشهد إهلاك فرعون وقومه الذين خرجوا مستخفين بموسى ومن معه يوم عاشوراء كاستخفاف قريش بالنبي ومن معه في غزوة بدر فقال المولى عز وجل: ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٧ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٥٨ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ٦٠ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨﴾ الشعراء: ٥٣ - ٦٨

وكان النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في كتب السيرة يصف أبا جهل في هذه الغزوة بفرعون هذه الأمة لأنه أصر على أن يقحم قومه وجنده في هذه المعركة رغم أن العير التي خرجت قريش لإنقاذها من بطش المسلمين نجت والقوم أرادوا الرجوع فعارضهم وقال لهم يومها:﴿ والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف لنا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا ﴾ وهو موقف يشبه تماما إصرار فرعون على اللحاق ببني إسرائيل رغم ما رآه من انشقاق للبحر بمعجزة ربانية استصغارا لشأن موسى ومن معه وجحودا لقدرة ربهم العظيم، فأهلك الله أبا جهل وكبار ملأ قريش كما أهلك الفراعنة قبلهم وبطريقتين متشابهتين في الاستدراج والإخراج ثم ما هي إلا سنوات بعد غزوة بدر حتى أورث الله المسلمين مكة وكانوا هم المنصورين.

ونجد أن يومي النصر للنبيين والأمتين على الفرعونين سماهما الله باسم واحد وهو اسم ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ للتشابه بينهما، وهذه التسمية مشتقة من التفريق الذي حصل في اليومين بين الحق والباطل.

فقال عز وجل عن يوم بدر ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ الأنفال: ٤١

وقال عن نصر موسى وهارون ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨﴾ الأنبياء: ٤٨ **وآتينا لفظ يحتمل غير كتاب التوراة فهو ليس كلفظ أنزلنا في الدلالة لأنه أعم منه وأشمل.**

واسم الفرقان يستعمل في الدلالة على القرءان الكريم دون باقي الكتب فلا يكون المقصود به هنا التوراة ويظهر ذلك حينما ذكر الله الكتب المنزلة في فواتح سورة آل عمران فقال ﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ٤﴾ آل عمران: ١ - ٤

وكذلك أطلق الله اسم الفرقان على القرءان في فواتح سورة الفرقان فقال ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ الفرقان: ١

وما يدعم أن الفرقان المذكور في سورة الأنبياء ليس التوراة المنزلة على موسى أن الأسماء المعطوفة على الفرقان بعده لم تتبعه في التعريف ب(ال) وفيه دلالة أن المقصود بها شيء آخر وهو التوراة، فجاءت نكرة لينتبه القارئ فيفهم ويفرق بين المعاني.

وفي سورة البقرة قال عز وجل مذكرا بني إسرائيل بيوم نصرهم ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ البقرة: ٥٠ فالتفريق بين الحق والباطل حصل بجند من جنود الله اسمه البحر واليوم كان يوم الفرقان.

وقد أرشد الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم في سورة الإسراء التي ذكر فيها سنة الجزاء السيئ للكفار على استفزازهم للمؤمنين ومنعهم من الأرض المقدسة الخصال التي يجب على النبي وأمته التحلي بها لتحقيق النصر على أعداهم سواء كانوا من مشركي قريش أو كانوا من بني إسرائيل في صراع قادم استهلت السورة ببيان أشواطه، وهي نفس الخصال والشروط التي أوصى بها الله بني إسرائيل لينصرهم على فرعون والتي ذكرناها آنفا.

فقال المولى عز وجل ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ الإسراء: ٧٦ - ٨٢

فالآيات أمرت بالصلاة وبينت أوقاتها في سورة اسمها الإسراء باسم الرحلة الربانية التي فرضت فيها الصلاة وفي هذا التناسب دلالة على أن المحافظة عليها له سر في حصول النصر ثم أمر الله النبي بعد ذلك بالزيادة على الصلاة بالدعاء والتوكل على الله ليكلل كل ذلك بنتيجة يحبها المؤمنون قال عز وجل عنها ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ الإسراء: ٨١

وبالفعل بعد الإسراء وفرض الصلاة على المسلمين تغيرت موازين القوة لصالح الدعوة الإسلامية وجاء الفرج بالهجرة ثم تأسيس دولة الإسلام ثم فتح المسلمون مكة ودخلها النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلوا هذه الآية من سورة الإسراء التي نزلت عليه تبشره بالنصر وهو في مرحلة الاستضعاف المكية فيروي البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ﴿ دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاث مائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾.

ولا غرو أن هذه العوامل المفيدة للمسلمين في تحقيق النصر حوتها سورة الإسراء لأن لها علاقة ببدايتها التي ترسم الملامح الكبرى لصراع قادم على أرض القدس بين المسلمين وبني إسرائيل يقوم فيه المسلمون بإنهاء إفساد بني إسرائيل فيها مرتين ولن يتكرر إفسادهم بعد ذلك إلى أن يحاصر اليهود المسلمين فيها ومعهم المسيح الدجال في آخر الزمان دون أن يدخلوها، فينزل المسيح عيسى بن مريم فيأمر المسلمين بفتح أبواب القدس ويطارد الدجال ثم يقتله ويقتل المسلمون اليهود الذين جاؤوا معه كما نقل ذلك إلينا في حديث النبي صلى الله عليه و سلم الذي سنأتي على بيانه إن شاء الله تعالى.

ونعود إلى آيات خواتيم سورة الإسراء التي ذكر فيها الله عاقبة استفزاز فرعون لبني إسرائيل فقال الله بعد إهلاكه لفرعون وجنوده ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ الإسراء: ١٠٤

فأمر الله بني إسرائيل بعد إهلاك فرعون وجنوده أن يسكنوا القدس وهي الأرض المقصودة هنا ويفهم ذلك من وحدة الاستعمال اللفظي في السورة، إذ أنه إذا ذكرت الأرض مفردة في السورة غير مقترنة بالسماوات فتستعمل للدلالة على إحدى الأرضين المقدستين المذكورتين في بدايتها وهي مكة أو القدس وذلك في قوله

تعالى ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ الإسراء: ١

ويدعم هذا الفهم ما جاء في سورة الأعراف مفسرا لنا ما المقصود بالأرض في قوله تعالى ﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٦١﴾ الأعراف: ١٦١ **وقوله في سورة المائدة** ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١﴾ المائدة: ٢٠ - ٢١ **وكل المفسرين متفقين على أن القرية والأرض المقصود بهما في الآيتين هي القدس .**

ثم قال المولى عز وجل ﴿وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤﴾ الإسراء: ١٠٤ **ووعد الآخرة هو وعد النصر للمسلمين على اليهود عند إنهاء الإفساد الأخير لبني إسرائيل في القدس والتقاء الفريقان للقتال المذكور في بداية السورة، فالخطاب في قوله** ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ **إخبار وإعلام للمسلمين وبني إسرائيل جميعا وهو منفصل عما قبله من الكلام الموجه إلى بني إسرائيل وحدهم، ومفاده أن كلا الأمتين ستلتقيان على هذه الأرض في مواجهة فاصلة ستسفر عن إنهاء إفساد بني إسرائيل في القدس إلى الأبد فقال** ﴿جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤﴾ **أي جئنا بكم أنتم وهم جميعا، وقد جاء في تفسير ابن كثير أن ابن عباس وقتادة والضحاك كلهم قال أن كلمة لفيفا معناها (جميعا)، وهذا الوعد هو الذي إذا يتلى على الذين أوتوا العلم وقوعه في القرءان من قبل أن يقع يؤمنون به ويسبحون الله وينزهونه عن إخلافه لوعده وعدم قدرته على تحقيقه فقال الله في**

نهاية السورة ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ١٠٩﴾الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩.

فقوله ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ﴾ **أي آمنوا بوقوع هذا الوعد أو لا تؤمنوا** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾**أي من قبل وقوعه، فهاء الضمير هنا تعود على وعد الآخرة الفاصل بين الأمتين في القدس ولذلك يقولون**﴿سُبۡحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨﴾ الإسراء: ١٠٨ **تنزيها لله عن إخلافه لوعد الآخرة الفاصل بين الأمتين في القدس الذي يؤمنون ويسلمون بوقوعه، وعبارة مفعولية الوعد هنا هي نفس العبارة القرءانية التي قالها الله في بداية سورة الإسراء لما ذكر وعد نصر المسلمين على اليهود عند مجيء الوعد الأول فقال** ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ٥﴾ الإسراء: ٥

فكلمة ﴿مَّفۡعُولٗا﴾ **كانت صفة ثابتة للوعد الأول تناسبا مع أول السورة وزمن وقوعه، ولم يوصف بها وعد الآخرة المذكور معه في البداية إلى أن جاء ذكره في آخر السورة وهو ما يتناسب مع زمن وقوعه فعليا، وبذلك يجتمع نفس الوصف للوعدين لكن كل في المكان المناسب له ولزمن وقوعه.**

في السورة أيضا وحدة في دلالة الاستعمال اللفظي لكلمة ﴿وَعۡدُ﴾ **فأينما وقعت فيها فإنها تدل على وعد الله بإنهاء إفساد بني إسرائيل في القدس على يد المسلمين وقد تكرر اللفظ في السورة خمس مرات ولم يتكرر في سورة غيرها بأكثر من هذا العدد.**

المسجديون هم أولياء المسجد الأقصى :

المتأمل في صفحات التاريخ الإسلامي يجد أن إنهاء الفترات المظلمة التي مر بها المسجد الأقصى والقدس كانت دائما تجري على أيدي رواد المساجد ومحبيها وخريجيها ففي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنهى إفساد الرومان أسود رسول الله صلى الله عليه و سلم من الصحابة ولما دخلوا القدس كان أول ما قام به عمر رضي الله عنه صلاته في المسجد الأقصى ركعتين في محراب داوود ثم صلى من الغد بالمسلمين صلاة الصبح وقرأ فيها بسورتي ﴿صٓ﴾و﴿بني إسرائيل﴾ كما جاء في كتاب البداية والنهاية لابن كثير ، ثم عند تحرير صلاح الدين لها من قبضة الصليبيين قام بتطهير المسجد الأقصى ونصب فيه المنبر الذي صنعه السلطان نور الدين محمود بن زنكي الذي كان يتمنى أن يحرر الأقصى ويضعه بنفسه داخل المسجد لكن المنية عاجلته فأتم صلاح الدين مسيرته إلى أن أبلغه الله شرفها.

ويشاء الله أن يبقى هذا الشرف محصورا ومقصورا بعد هؤلاء الأبطال على المسجديين أمثالهم من هذه الأمة عند طرد اليهود من القدس والأقصى في المرتين القادمتين المذكورتين في سورة الإسراء لأن غايتهم الكبرى ومطلبهم من قتال اليهود في القدس هي تحرير المسجد الأقصى.

قال عز و جل : ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ٧﴾ الإسراء: ٧

و بعدها لن يرجع اليهود إلى الإفساد في القدس وللمسلمين عين تطرف ولن يدخلوها حتى عند خروج الدجال وهم أكثر أتباعه يومها لأن الدجال ممنوع من دخول

أراضي المساجد الثلاث المباركة كما جاء في مسند أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :﴿ أنذركم المسيح وهو ممسوح العين قال : أحسبه قال اليسرى يسير معه جبال الخبز و أنهار الماء علامته يمكث في الأرض أربعين صباحا يبلغ سلطانه كل منهل لا يأتي أربع مساجد الكعبة و مسجد الرسول و المسجد الأقصى و الطور﴾.

و يروي الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي خطب خطبة حذرهم فيها من الدجال فقالت أم شريك للنبي صلى الله عليه وسلم: فأين المسلمون يومئذ فقال: (هم يومئذ قليل و جلهم ببيت المقدس يخرج فيحاصرهم و إمام الناس يومئذ رجل صالح فيقال : صل الصبح فإذا كبر و دخل فيها نزل عيسى بن مريم فإذا رآه ذلك الرجل عرفه فرجع يمشي القهقري فيتقدم عيسى يضع يديه بين كتفيه ثم يقول صل فإنما أقيمت لك فيصلي عيسى عليه السلام وراءه ثم يقول افتحوا الباب فيفتحون الأبواب و مع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي كلهم ذو تاج و سيف محلى فإذا نظر إلى عيسى عليه السلام ذاب كما يذوب الملح في الماء ثم يخرج هاربا فيقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تفوتني بها فيدركه فيقتله فلا يبقى شيء مما خلق الله عز و جل يتوارى به يهودي إلا أنطقه الله عز و جل لا حجر ولا شجر ولا دابة إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فاقتله إلا الغرقد فإنها من شجرهم فلا ينطق)

و من خلال هذا الحديث يتبين أن اليهود لن يسلبوا من المسلمين المسجد الأقصى في آخر الزمان كما فعلوه في الإفساد الأول و الثاني لأن الإفساد الثاني هو الأخير في القدس ولن يتكرر و بهزيمتهم الختامية أمام المسلمين بقيادة عيسى بن مريم عليه السلام تتجلى حقيقة صدق وعيد الله و تهديده لبني إسرائيل وتيئيسهم من الرجوع إلى القدس وسلب المسجد الأقصى من أيدي المسلمين بعد المرتين المذكورتين في

سورة الإسراء فقال عز وجل ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ الإسراء: ٨

وإن المسجد الذي سيزود الأمة بجيل تحرير القدس هو نفسه الذي تذود به الأمة عن هويتها وعقيدتها المستهدفة من أهل الكتاب الذين هم من شدة حسدهم للمسلمين على دينهم والتزامهم بشرائعه يحبكون الخطط الطويلة الأمد المتدرجة الأهداف لإبعادهم عن دينهم وروافده الأصيلة ليصبحوا اسما بغير مسمى وعنوانا بلا بيت ومن أهم خططهم عزل المسلمين عن المساجد وصرف الشباب عنها بالملهيات التي يبثونها في أوساط المجتمعات المسلمة ومحاولتهم إظهار الشخصية المتدينة الملتزمة بالصلاة في العالم الإسلامي بصورة الشخصية الدرويشية المتخلفة التي تثير مشاعر السخرية ولا تفقه شيئا في شؤون الحياة وكل ذلك لعلمهم أن الجيل الذي سينسف ظلمهم وما يعرشون نسفا هو جيل المساجد والصلاة.

وقد قال الله جل جلاله عن هذا المنهج التضليلي الخبيث ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ المائدة: ٥٧ - ٥٨

ولما بين النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها أكثر الأمور التي يحسدنا عليها اليهود كانت كلها متعلقة بالصلاة التي تعد الشعيرة الأبرز في حياة المسلمين ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم وأحمد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها متحدثا عن اليهود ﴿ إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين ﴾.

وقد ذكر الله في سورة البقرة حسد أهل الكتاب من اليهود والنصارى للمؤمنين على إسلامهم وادعائهم أن الدين الحق عند الله هو اليهودية أو النصرانية ومحاولتهم إخراج المسلمين من الإسلام بالأذى السلوكي واللفظي والحرب الإعلامية والفكرية وأدخل الله في وسط ذلك الخطاب آيات تتحدث عن الإثم العظيم الذي يرتكبه من يحاول إفراغ المساجد من محتواها الرسالي ويجعلها جسدا بلا روح ويمنع المسلمين من الصلاة وذكر الله فيها وفي ذلك إشارة لما سيقوم به اليهود والنصارى معا في المستقبل لأن ذلك لم يحدث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يشترك اليهود والنصارى معا على هذا العمل إلا فيما نراه في هذا العصر من تحامل الصهيونية المسيحية البروتستانتية والصهيونية اليهودية في القدس على منع المصلين من الصلاة في المسجد الأقصى ومحاولتهم تخريبه بالأنفاق والإحراق وبالحفريات والاقتحامات التي يشارك فيها مجندين نصارى مرتزقة صهاينة بمباركة وتأييد غربي والأغلبية الأخرى من اليهود، وإن هذا التخريب المادي والمعنوي للمسجد الأقصا والظلم المتصاعد للمصلين لما يصل إلى مداه وأقصاه فيخرب المسجد الأقصى ويمنع المسلمون من الصلاة فيه منعا باتا حينها سيأتي الخزي الذي ينتظر الصهيونية كما جاء في الآيات بتحقق الوعد الأول ويليه الوعد الثاني من بعده جزاء نكالا في كلتا المرتين على تخريب المسجد الأقصى ومنع المسلمين من دخوله لأنه يعد عند الله أقصى درجات الظلم الذي يعجل الله عقوبته في الدنيا ولا تؤجل وهذا ما يتبين من خلال هذه الآيات من سورة البقرة قال جل جلاله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا
هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ
وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ
وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي
ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾
وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا
يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ
تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ
عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ
هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١٢٠﴾

البقرة: ١٠٩ - ١٢٠ **والتخريب المذكور في الآيات قد يكون بالإتلاف والهدم الجزئي وقد يكون بالهدم كلي والله أعلم بما سيقع فيه الصهاينة من منكر عظيم.**

ومما يرجح أن اللفظ العام في كلمة (المساجد) يراد به الخاص (المسجد الأقصى) مع صدق معنى الآية على بقية المساجد أن الله عطف على ذلك بوصف من يمنع الذكر في هذه المساجد ويخربها بأنهم يقولون اتخذ الله ولدا وهو قول كل المذكورين في الآية 113 (اليهود والنصارى والذين لا يعلمون من المشركين العرب) لكن صفة تخريب المساجد لم يقع المشركون العرب فيها أبدا لأن التخريب في القرءان يطلق على الافساد المادي كما جاء في سورة الحشرفي قوله تعالى

﴿ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ ﴾ الحشر: ٢

وقد انتهى وجود المشركين العرب وانقرضت ملتهم، فيخرجون بذلك من المعنى المقصود بالآية ويبقى تعلقه باليهود والنصارى فحسب، وما اجتمع اليهود والنصارى على هذا الفعل إلا في المسجد الأقصى في هذا الزمان الذي نحن فيه عند ظهور الصهيونية ذات الجناحين اليهودي والنصراني البروتستانتي .

فقال تعالى ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ البقرة: ١١٤ - ١١٧

وقول الله عز وجل ﴿ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥ ﴾ البقرة: ١١٥ **أي أينما تذهبوا فثم وجه الله، وفيه دليل على أن المسجد المقصود في الآية هو من المساجد الثلاث التي أمرنا الله بالذهاب وشد الرحال إليها فإذا منعنا منها كانت لنا الأرض كلها مسجدا ومقصدا لأن إلهنا الذي نعبده لا يحصره حيز مسجد بعينه ووجوده أوسع من السماوات والأرض، وتفيد الآية أيضا أن هذا المسجد الذي سيمنع اليهود والنصارى المسلمين منه ويخربونه ليس بقبلة دائمة للمسلمين لأن الله لم يأمرنا بعد إخبارنا بأننا سنمنع منه ويخرب باستقبال كل الجهات الأخري بوجوهنا بدلا عن استقباله ولم يقل (فأينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله) وأثبت الاستقبال بالوجه وكرره عندما أمرنا بالتوجه شطر المسجد الحرام الذي يعد القبلة الدائمة في الصلاة .**

وبعد أن انهى الله الكلام عن حسد اليهود والنصارى للمسلمين ومحاولتهم أن يردوهم كفارا بعد إيمانهم وتجلي حسدهم المشترك في منع المسلمين من الدخول إلى المسجد الأقصى الذي يحسدوننا على الصلاة فيه ذكر الله مباشرة قصة إبراهيم عند تأسيسه قبلة أمة النبي صلى الله عليه وسلم الآمنة لعلم الله عز وجل بأن المسجد الأقصى لن يكون آمنا ولا يصلح أن يكون قبلة دائمة للمسلمين لأنه سيكون محل صراع مع اليهود والنصاري، وبين الله أن إسلام أمة النبي صلى الله عليه وسلم هو امتداد لإسلام وإيمان كل النبيين والمرسلين المتبعين لملة إبراهيم التي ضل عنها اليهود والنصارى كما ضلوا عن قبلته.

فقال الله تعالى ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ

لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤ ﴾ **البقرة: ١٢٤ -١٣٤**

ثم جاء بعد ذلك مباشرة آيات الأمر بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام لتكون الإجابة عن السؤال الذي طرحه السفهاء المستهزؤون من الناس عن سبب تحول المسلمين عن المسجد الأقصى متجلية في سياق الكلام وتناسبه مع بعضه بعضا ، وهذا كله يرجح المعنى الخاص للفظ العام في كلمة (المساجد) بأنه المسجد الأقصى والله أعلم .

فقال الله تعالى ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧ وَلِكُلِّ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ

قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ البقرة: ١٤٢ - ١٥٠

المنظومة الأخلاقية لجيل التحرير:

لم تغفل سورة الإسراء المبشرة بالوعدين الحسنين الصفات الأخلاقية التي لا بد أن يتحلى بها جيل النصر المنتظر فجاءت مفصلة مرتبة بداية من الأخلاق المتعلقة بحب الآخرة وإيثارها على الدنيا وإخلاص العبادة لله عز وجل ومنتهية بأخلاق التواضع والاعتدال في المعاملة مع المؤمنين الأقارب منهم ثم الأباعد مع التحلي بالعفة والعفاف والوفاء، فقال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ الإسراء: ٢٣ - ٢٩

وذكرت السورة جانبا أخلاقيا مهما في تماسك الصف الإسلامي ألا وهو الاحترام بين المسلمين عند الحوار أو الإختلاف الفكري أو المذهبي أو السياسي إذا لم يكن هذا الإختلاف يضر بالعقيدة أو يخرج عن دائرة الإسلام، فلا تسمع كلمات التجريح ولا تنطق عبارات الإساءة عند الإختلاف، لأنها أنكى على الأمة من

ضربات الأعداء والخصوم فقال عز وجل ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ الإسراء: ٥٣

وإذا تأملنا سورة الإسراء نجد بأنها مربوطة بمعاني سورة أخرى من كتاب الله تكلمت عن أول غزوة للنبي صلى الله عليه وسلم غزاها ضد اليهود وهي غزوة بني النضير حين أخرجهم من المدينة بعد حصارهم لتكون إيذانا بالحشر الأول الذي ينتظرهم في القدس، وكان خروجهم يعتبر ميئوسا منه عند كثير من المسلمين لكن الله سهله ويسره كما سيسهل إن شاء الله خروجهم من القدس عند الحشر الأول والثاني، قال عز وجل ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾ الحشر: ١ - ٣

ونجد بأن هذه السورة تشبه سورة الإسراء في بدايتهما بالتسبيح وإنتهائهما به، وكذلك إنتهائهما بذكر أسماء الله الحسنى.

فقال تعالى في خواتم سورة الحشر ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ الحشر: ٢٣ - ٢٤

وقال في خواتم سورة الإسراء ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ

ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ الإسراء: ١٠٨ - ١١١

فذكر الله في صدر سورة الحشر أخلاق الذين ينصرون الإسلام ويحاربون اليهود في كل زمان فبدأ بالمهاجرين والأنصار وثنى عليهم بإخوانهم الذين سيأتون من بعدهم فكانت الصفة الثابتة للجميع هي احترام وحب إخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان فالأنصار يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويوثرون على أنفسهم ولوكان بهم فقر وخصاصة، والذين جاءوا بعد الأنصار والمهاجرين يستغفرون لهم ويحبونهم رغم أنهم لم يروهم ولا يحملون غلا في قلوبهم لإحد منهم.

فقال الله عز وجل ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ الحشر: ٨ - ١٠

والآيات تدل على أن الصحابة الذين سبقونا بالإيمان ليسوا معصومين فنستغفر لهم كما نستغفر لآبائنا وكل المؤمنين، فقد تكون لهم أخطاء لكن ليس معنى ذلك أن نبغضهم ونلعنهم ونحمل في قلوبنا الغل عليهم، أو نطعن في صدقهم لما رووه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه هي صفة الاحترام والتقدير الخلقية الثابتة لأنصار الإسلام الذين سيصطفيهم الله لتحرير القدس وقتال اليهود واسترجاع مجد المسلمين، وكل من خالفها فعادى الصحابة حقد عليهم أو عادى المسلمين ظلما فهو واهم أن يكون ممثلا لامتداد جيل الأنصار والمهاجرين المؤهل لتحرير القدس.

اقتراب المواجهة الحاسمة :

منذ دخول الصهاينة إلى فلسطين وهم ينشدون تحقيق الأمن لكيانهم الغريب عن جسد الأمة فسلكوا في سبيل ذلك مسلكين أولهما الاستعانة بالدول الغربية التي يسيطرون على دواليب الحكم فيها و علي بنوكها و مؤسساتها المالية كإمريكا وإنجلترا لتبذل لهم الحماية بحق الفيتو وبالسلاح والتقنية المتطورة و تضمن لهم بقاء تفوقهم العسكري قائما في المنطقة أما المسلك الثاني فقد ظهر مؤخرا ويتمثل في الاحتماء بالجدارين العازلين من ضربات المجاهدين أحدهما إسمنتي والآخر صاروخي والمعروف بالقبة الحديدية، وهذه الجدر هي ذروة ما توصلوا إليه في إستراتيجية الدفاع والتحصن التي اعتاد اليهود الحرص عليها منذ القدم بسبب شخصيتهم المعروفة بالجبن والخوف من الموت.

وإذا عدنا إلى سنة الله المذكورة في القرءان والمتعلقة بصراع اليهود مع المسلمين نجد بأن اليهود كلما يبلغوا أقصى درجات التحصن وظنوا أن حصونهم ستمنعهم من المؤمنين ومن عقوبة الله على ظلمهم هنالك يخزيهم الله بأيدي المؤمنين وتأتيهم الهزيمة من حيث لم يحتسبوا ولم يتوقعوا وهذا ما حصل لبني النضير في المدينة لما حاولوا قتل النبي صلى الله عليه و سلم فحاصرهم و قطع نخلهم المحيط بحصونهم كي لا يحتموا به و لا يبقى لهم أمل في البقاء بالمدينة فقذف الله في قلوبهم الرعب وهزموا و طردوا من المدينة صاغرين.

قال عز وجل ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢﴾ الحشر: ٢

وأكد الله في نفس السورة للمؤمنين أن اليهود لن يقاتلونهم وحال المؤمنين موحد مجتمع قلبا وقالبا إلا في مثل هذا التحصن والجبن اليهودي فقال : ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤﴾ الحشر: ١٤ فلفظ ﴿جَمِيعًا﴾ عائد على وصف حال المسلمين أما اليهود فنفى الله عنهم ذلك لما قال ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾ أي أنهم متفرقين بأهوائهم ومآربهم المختلفة ومحال أن يكون التناقض والاختلاف في كلام الله قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ النساء: ٨٢

فتحصن اليهود بالجدر لم يحصل بعد زمن وحدة المسلمين أيام رسول الله و الصحابة إلا في العشريات المتأخرة، مما يبشر بقرب وحدة المؤمنين المجاهدين في سبيل الله وقرب بروزهم للقتال التحريري للقدس وهم متآزرين كالبنيان المرصوص ويكون تحركهم إن شاء الله على نهج رسول الله في إلحاق الهزيمة باليهود في غزواته التي كانت كلها تتم بالحصار أولا ثم يقذف الله الرعب والوهن في قلوب اليهود فتنهار عزيمتهم و يخذلهم الله بسلاح الرعب الذي هو بيده وحده، ولا ينزله إلا إذا حاصر أهل الإيمان حقا اليهود، وقد أنزله في غزوتين للنبي على اليهود مذكورتين في القرءان الكريم.

فأنزله في غزوة بني قريظة فقال عز وجل : ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥﴾ الأحزاب: ٢٥

وأنزله في غزوة بني النضير فقال عز وجل : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢﴾ الحشر: ٢ وقال ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ۝١٣﴾ الحشر: ١٣

و في الآية 02 من سورة الحشر إشارة قرءانية إلى الحصار الكبير المنتظر الذي سيضربه المسلمون على اليهود عند إنهاء إفسادهم الأول بعد تجمع اليهود بأعداد كبيرة في فلسطين فسماه الله عز و جل أول الحشر، و هي تسمية تتناسب مع الإفساد الأول و الآخر المذكورين في سورة الإسراء و كلا الإفسادين سينهيهما المسلمون بأسلوب الحشر فلما قال الله تعالى ﴿لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ﴾ دليل على أن هناك آخر الحشر.

ولفظ الحشر يطلق في القرءان دائما على التجميع و الإحاطة بأعداد كبيرة جدا من الأفراد.

كقوله عز وجل ﴿۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٢٢﴾ الصافات: ٢٢

وقوله ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝١٩﴾ ص: ١٩

وقوله ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦﴾ الشعراء: ٣٦

والحشر في هذه الآية ليس للسحرة فقط وإنما لسكان مدائن مصر كلها لقول موسى عليه السلام في سورة طه ﴿قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ۝٥٩﴾ طه: ٥٩

وقوله﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ۝٤٧﴾الكهف: ٤٧

وقوله ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ۝١٧﴾ النمل: ١٧

وقوله﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥﴾ التكوير: ٥

و سيضطر اليهود إن شاء الله عز وجل إلى الرحيل والجلاء الذي اعتادوا عليه عبر التاريخ حفاظا على حياتهم التافهة بعد توغل المسلمين في مدنهم وتضييق الخناق عليهم وخوضهم حرب شوارع ومدن ضارية يظهرون فيها البأس والشجاعة التي يتميز

بها معسكر إنهاء الإفساد الأول والثاني لقوله تعالى ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥﴾ الإسراء: ٥ ثم ستتسارع الأحداث و يعود اليهود من جديد إلى القدس فيقوم نفس المعسكر الإسلامي بإخراجهم منها لأن الله نسب الإنهاء الثاني لنفس العباد فقال : ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ الإسراء: ٧ أي نفس العباد الذين يبعثهم الله أولا على اليهود، وهذا المنظور الإستشرافي للأحداث التي ستقع أوردته على حسب تدبري للآيات القرءانية والله وحده أعلم بمراده وما ينتظر عباده .

الصبر أهم سلاح في الصراع الإسلامي الإسرائيلي:

جاءت معجزة الإسراء في ظروف عصيبة وحزينة مر بها النبي صلى الله عليه وسلم إثر وفاة سنده المادي والمعنوي عمه أبو طالب و زوجته خديجة رضي الله عنها فاحتاج عليه الصلاة والسلام إلى جرعة دواء تداوي جراحه النفسية وتزوده بطاقة الصبر و التحمل في ميدان التبليغ و أداء الرسالة ،فكانت الجرعة متمثلة في إسراء الله به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليريه من آياته الكبرى.

فذكرت هذه المعجزة في سورة الإسراء قبل التطرق إلى الصراع الذي سيحصل بين المسلمين وبني إسرائيل على أرض الإسراء لتفهم الأمة من هذا التناسب في الخطاب الإلهي أن التزود بالصبر وطول النفس له ارتباط وثيق بتحقيق النصر في تلك الأيام الصعبة التي ستمر على الأمة في صراعها مع بني إسرائيل، وهي سنة من سنن الله أوصى بها موسى قومه من قبل ليسهل الله عليهم الخروج من مصر إلى القدس.

قال الله عز وجل ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ۝١٢٧ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ

ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾ الأعراف: ١٢٧ - ١٢٩

فلما قبل بنو إسرائيل نصيحة موسى جزاهم الله بإهلاك فرعون وإغراقه مع جنوده في البحر كما وعدهم موسى عليه السلام وعزا الله ذلك النصر في نفس السورة إلى صبر بني إسرائيل وتحملهم أثناء مواجهة ظلم فرعون .

فقال تبارك و تعالى:﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧﴾ الأعراف: ١٣٦ - ١٣٧

فما على المسلمين في صراعهم اليوم مع الصهاينة والغرب إلا المواجهة والصبر الجميل والطويل لأن سنة الله قد جرت على أن يؤتي نصره لعباده المؤمنين عند مواجهة أعدائهم على قدر صبرهم وجلدهم وليس على قدر العدة والكثرة التي أمروا بالأخذ بها وعدم إغفالها دون الإعجاب بها إعجابا ينسي التوكل على الله، ففي سورة الأنفال يأمر الله عز وجل المؤمنين بإعداد العدة والحرص عليها فيقول ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ الأنفال: ٦٠ **ثم ينسب سبب النصر إلى الصبر وأنه كلما عمرت قلوب المؤمنين به كانوا أقرب إلى التغلب على أعدائهم فقال عز وجل** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ

ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦﴾ الأنفال: ٦٥ - ٦٦

ونرى من خلال القرءان الكريم أن أتباع الحق الثابتين في الملاحم الكبرى يطلبون من الله في جهادهم أن يفرغ عليهم سلاح الصبر إفراغا لأن حاجتهم للصبر عند المواجهة واللقاء أكبر من حاجتهم لسلاح الكر والفر، ومن هؤلاء الثلة القليلة من بني إسرائيل التي بقيت ثابتة مع طالوت بعدما محصت ثم برزت لقتال جالوت وجنوده فقال الله تعالى ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ البقرة: ٢٤٩ - ٢٥١

وأشاد الله بثبات الربانيين الذين لا تثنيهم الأضرار و القروح التي تصيبهم في سبيل نصرة رسالات الله عن مواصلة القتال والتضحية إلى آخر رمق وطلبهم الوحيد من الله إذا اشتد الوطيس وقتل من معهم من الأنبياء هو تثبيت أقدامهم وإفراغ الصبر عليهم إفراغا فقال عز وجل ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا

ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨﴾ آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨

فمن سيحررون القدس إذا لا بد أن يكونوا على شاكلة الصابرين قبلهم، فيكون بأس صبرهم أشد من بأس أسلحتهم، و يواجهون عدو الله وعدوهم بصبر لا ينفد و لا ينضب، ولا تزيدهم المحن في طريق الجهاد الطويل إلا يقينا بقرب نصر الله الموعود.

فتنة القدس :

**جعل الله القدس أرض فتنة للناس في إيمانهم ليعلم من رسخ في إيمانه ممن يدعيه دون برهان، و بدأت هذه الفتنة منذ أن أرسل الله موسى إلى فرعون ليبلغه بأن الله يأمره أن يخلي سبيل بني إسرائيل ليخرجوا معه إلى القدس فكانت بذلك فتنة لفرعون وقومه و فتنة لبني إسرائيل الذين أبوا أن يدخلوها بعد أن أهلك الله عدوهم وهم ينظرون جبنا منهم ورهبة من القوم الجبارين، فقال الله تبارك وتعالى ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ

ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ المائدة: ٢٠ - ٢٦

ثم فتن بنو إسرائيل أن يدخلوها مرة أخرى بعد انقضاء سنوات عقوبة التيه والضياع في صحراء سناء فدخلوها بقيادة نبي الله يوشع بن نون منتصرين أمرهم الله عز وجل بدخول باب القدس ساجدين شاكرين له على ما أنعم عليهم من فتح ونصر وإنقاذهم من التيه والضياع فدخلوها رافعين رؤوسهم غير مبالين وقيل دخلوها وهم يزحفون، وأمرهم الله أن يستغفروه عند دخولها ويطلبوا منه أن يحط عنهم خطاياهم فيقولوا كلمة (حطة) أي مغفرة يا ربنا، فبدلوا ذلك وقالوا حبة في شعرة استهزاء وسخرية، فيروي النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿قال الله لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم فبدلوا ودخلوا البـاب يزحفون أستاههم (أي أدبارهم) فقالوا حبة في شعرة ﴾.

وبقيت القدس محل صراع بين اليهود وأعدائهم كبختنصر الذي نكل بهم، والروم وغيرهم إلى غاية أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم فأدخل المسجد الأقصى ضمن جملة المقدسات الإسلامية بنصوص القرءان والسنة التي أسست لقدسيته.

قال تعالى ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ البقرة: ١٣٠ - ١٣٢

وقال سليمان عليه السلام عن نفسه أنه مسلم الدين وليس بيهودي ولا نصراني

وذلك لما نكر لها عرشها وكسر كبرياءها ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ النمل: ٤١ – ٤٢

ويروي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى﴾ فأصبحت القدس أرض فتنة لإيمان أتباع النبي صلى الله عليه وسلم من أول يوم أخبرهم فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن إسراء الله به إلى هذه الأرض المباركة فثبت من ثبت وارتد من لا خير فيه، وجاءت معجزة الإسراء قبيل الهجرة بقليل لتمحيص إيمان الصف الإسلامي فيسقط كل من لا يعول عليه في تحمل مسؤولية تأسيس دولة الإسلام وما تحتمه من مواقف صعبة، وصدم المشركون كذلك بخبر الإسراء إلى القدس فكانت معجزة الإسراء فتنة للناس جميعا مؤمنهم وكافرهم.

قال الله تعالى عما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في الإسراء إلى القدس : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴿٦٠﴾﴾ الإسراء: ٦٠

وممن سلم بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أرسخ الناس إيمانا من الصحابة أبو بكر الصديق حين سعى إليه ناس ممن ارتدوا عن الإسلام بعد ما سمعوا خبر الإسراء ولم يصدقوه فقال لهم إن كان قال ذلك فقد صدق فقالوا : أفتصدقه في أن يأتي إلى الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح فقال : نعم فأنا أصدقه بأبعد من هذا، أصدقه بخبر السماء، فسمي منذ ذلك بالصديق.

وقبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بدأ يوجه المسلمين لتحرير المسجد الأقصى بإعلان الحرب على الروم المحتل لأرض الشام والمتربص بدولة لا إله إلا الله فقاد غزوة تبوك بنفسه لتأديب الروم وأرسل سرية مؤتة لقتالهم وكانت آخر سرية عقد

لواءها قبيل موته لأسامة بن زيد رضي الله عنه لقتال الروم، ثم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بقي واجب تحرير القدس فتنة واختبارا للصحابة رضي الله عنهم فنجحوا في افتكاكها من يد الروم، لكن الصراع عليها تجدد بعد ذلك مع النصارى وتجدد في هذا العصر مع الصهاينة وستبقى القدس فتنة للمسلمين في صراعهم مع اليهود والنصارى لأن كلا منهم له متعلق ديني يربطه بها، وقد فتن اليهود من قبل بها وفتن النصارى فيها إذ هي مهد عيسى عليه السلام والبلد الذي رفعه الله منه بعد محاولة اليهود قتله فشبه لهم بأحد الحواريين فظنوا أنهم قتلوه وما قتلوه يقينا ولذلك لما ينزل عليه السلام يكون أول بلد يأتيه هو القدس لقتل الدجال واليهود المنضوين تحت رايته جزاء صنيعهم القديم فيها.

والمتأمل في ترتيب سور القرءان الكريم ومحتواها يجد بأن هناك ثلاث سور متجاورات متعاقبات فيها دلالة على أن الله قد جعل القدس فتنة لإيمان الناس ليختبر مدى صدقهم وهي سور الشعراء والنمل والقصص وكل منها تبتدئ بحروف متشابهة ﴿طسٓمٓ، طسٓ، طسٓمٓ﴾ وفي ذلك دلالة على تقارب محتواها الموضوعي إذ أنها تبتدئ كلها بذكر قضية الإيمان ثم تتلوها مباشرة قصة إرسال موسى عليه السلام إلى فرعون ليبلغه أمر الله له بأن لا يمنع بني إسرائيل من الذهاب إلى القدس وهي الحادثة الأولى المؤسسة لفتنة الناس بالقدس، لتبقى بعدها القضية الكبرى المتكررة التي يفتن الله بها المؤمنين في كل زمان ليرى الصادق منهم من الكاذب.

وقد تناسبت بدايات السور الثلاثة مع بداية سورة العنكبوت التي تأتي في الترتيب بعدهن والتي تبين في بدايتها حتمية تعرض المؤمنين للفتنة ليعلم الله المجاهدين والصادقين وينكشف المنافقون والكاذبون فقال تبارك وتعالى ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٤ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١﴾ العنكبوت: ١-١١

إذا فلينظر كل مسلم حاكما كان أو محكوما ماذا قدم لقضية القدس المباركة لأن المسلمين سينقسمون عند الله بناء على موقفهم تجاه قضية الأقصى والقدس إلى فريقين لا ثالث لهما فريق مؤمن صادق ،وآخر كاذب منافق .

وبعد سورة العنكبوت تأتي فواتح سورة الروم التي وجهت أنظار المؤمنين إلى صراع الحضارات آن ذاك بين قوتين عظميين هما الفرس والروم وأخبر الله بأن الروم ستغلب الفرس بعدما هزمت أمامها في أدنى الأرض، وأخبر علام الغيوب بأن ذلك سيكون نصرا عظيما للمؤمنين يفرحون به لما فيه من برهان على صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصلته بوحي الله العزيز الحكيم، فغلبة الروم إذا نصر للعقيدة والإسلام تزيد المؤمنين إيمانا وتحرج الخصوم المكذبين وهي نصر إسلامي في المفهوم القرءاني لأن مصطلح النصر في القرءان لا يستعمل لتغلب الكفار أبدا وإنما يستعمل في تغلب المسلمين على الكافرين كما جاء في سورة النصر لما سمى الله فتح مكة ودخول الناس في الإسلام بالنصر فقال ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١

وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ النصر: ١ - ٣

وكما جاءفي وصف غلبة المسلمين لقريش في غزوة بدرفي قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ آل عمران: ١٢٣وغيرهاكثير في القرءان الكريم.

ولاحظ كيف نسب الله الغلبة للروم أو الفرس في سورة الروم ولم يقل عنه نصر إلا عندما تعلق أثره بفرح المؤمنين بصدق الإخبار القرءاني عن الغيبيات فقال الله تعالى ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ الروم: ٤ – ٦ فتكلم الله بعد هذا الوعد الدنيوي المتحقق عن الوعد الاخروي الذي يكذب به المشركون للرابط الموجود بينهما المتمثل في مصدر الخبر وهو النبي صلى الله عليه وسلم الذي يستحيل أن يكذب في الإخبار عن الله واليوم الآخر ما دام قد ثبت صدقه في الواقع المعاين.

وفواتح هذه السورة المباركة لها تناسب وطيد مع فواتح السور من قبلها فبالإضافة إلى الإعجاز الخبري الذي جاءت به فإن لها غاية ومقصدا آخر يكمن في تنبيه المؤمنين إلى أنهم سيدخلون في صراع ومواجهة مع هذه القوة التي سميت السورة باسمها لأنها محتلة لأرض القدس وستبقي هذه القوة العالمية المتمثلة في الدول الغربية الأوربية لها دخل في الصراع على القدس سواء بالاعتداء المباشر أو بدعم اليهود مظاهرتهم بالسلاح و المال و التقنية والرجال، ولذلك يعتبر هذا المعسكر الذي ترأسه اليوم أمريكا التحدي الأكبر الذي يواجه الأمة الإسلامية في كفاحها ضد الصهيونية والذي نستطيع أن نطلق على تكتله الواضح اسم الروم لأن العرب في عرفهم اللغوي

كانوا يطلقون اسم الروم على نصارى أوربا دون استثناء والقرءان خاطبهم بالمعنى العرفي عندهم .

الرعاية الأمريكية الغربية للصهيونية :

المتأمل في العلاقة بين اليهود والدول الغربية خاصة منها إنجلترا وأمريكا يرى ولاء ونصرة المسيحيين البروتستانت المؤمنين بعودة المسيح حين تقام دولة إسرائيل في القدس ويبنى الهيكل المزعوم مكان المسجد الأقصى وقبة الصخرة وهي فكرة مدسوسة في دينهم من قبل عملاء صهاينة عملوا كرجال دين في الكنائس البروتستانتية فأصلوا لعقيدة جديدة في المذهب البروتستانتي تقول أن المسيحية هي امتداد لليهودية وعلى أتباعها أن يعملوا لخدمة ما جاء في العهدين القديم والجديد معا، ومن أبرز المنظرين لهذا الفكر الديني المسموم الذي ضحك به اليهود على النصارى وجعلوهم خدما لأهدافهم الراهب(مارتن لوثر) الذي ألف الكثير من الكتب بحجة الإصلاح الديني أهمها كتابه المعروف (المسيح ولد يهوديا) فخالف فيه التعاليم العريقة للكنيسة بوضوح وروج اليهود لكتابه هذا في دول غرب أوربا حيث يكثر تواجدهم ليتحرروا من الاضطهاد الاجتماعي الأوربي الذي كانوا يعانون منه ويتبدل بغض النصارى لهم إلى تأييد ونصرة وخدمة، فبيعت من الكتاب طبعات كثيرة نشرت عقيدة انبطاحية تجاه اليهود مهدت لظهور التيار المسيحي الصهيوني المعاصر بقيادة أمريكا وإنجلترا اللتان وضعتا اقتصاد وجيوش دول عظمى نصرانية في خدمة هدف إقامة دولة إسرائيل كما يريدها اليهود تماما، فعلى الأمة الإسلامية الجلحاء إذا أن تضع في الحسبان أنه لا مناص من التناطح مع هذه القوى الغربية الصهيونية القرناء يوما ما تناطحا قويا فتستعد له من الآن بإنبات قرون حضارية قوية لتكون في مستوى الندية وقسوة الصراع.

وإذا كانت اليهود و النصارى ملتين مختلفتين قد اجتمعتا على أمة لها اعتقاد جامع متمثل في توحيد الله والاجتماع على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن السبب في هوانها عليهم يكمن في تفرقها بما في أنفسنا المريضة من أطماع دنيوية واعوجاج فكري لا يرقى لتوحيد الصفوف على القيم المشتركة ولمّ الشمل الذي يحبه الله وينصر به المسلمين، وكيف نجنح للوحدة ونحن ما زلنا مشدودين إلى شهوة الإنفراد بالحكم، ونعرة الاصطفاف مع القبيلة ولو كانت ظالمة عميلة والتعصب للجماعة والحزب والشماتة في كل من خالفنا في الفكرة أو الرأي، بل إن الأوربيين وغيرهم وحدتهم المصلحة الاقتصادية والمصير المشترك ونحن فرقتنا آراؤنا وتصوراتنا فيما لا يضر الاختلاف فيه بالإيمان ولا بالولاء للإسلام، فكل منا يريد من الطرف الآخر أن يتنازل عن قناعاته الخاصة ويتبع وإن أبى اعتبرهضال مبتدع، ولن نستفيق ونقلع عن هذه الرعونات حتى نمضغ و نبتلع، فالتحالف التحالف مع بعضنا بعض أيها الإخوان لمواجهة التحالف علينا فإن فالوقت قد حان ولنسرع قبل فوات الأوان.

وقد أشار القرءان الكريم في السور المتجاورات المتناولة في فواتحها لفتنة القدس إلى الميزات الحضارية التي لا بد أن تتوفر لدى الأمة في مثل هذه الظروف التي ستمر عليها عند مواجهة قوى عالمية كبيرة، فقص علينا في سورة النمل قصة سليمان ودولته المسلمة القوية التي قهرت الحضارة البلقيسية المشركة بفضل ما اجتمع في دولة سليمان من إمكانات تحاكي النمط المعاصر للتطور الحضاري والتكنولوجي وتحاكي المنهجية المعاصرة في إدارة الصراع بين الدول والحضارات وأساليب الإخضاع والهيمنة الإيديولوجية والعسكرية والمالية، فكانت حضارة سليمان حضارة سليمانية إسلامية مقدسية متجاوزة لزمانها وذكر الله ركائزها مفصلة ضمن هذه السور التي تتحدث عن فتنة القدس في إشارة منه بأن المسلمين سيحتاجون لمثل ميزات

التجربة السليمانية لإدارة صراع قادم مع دول قوية لم يحن زمنها والتي ستنافسهم على الأرض المقدسة أو تشكل خطرا عليهم.

رسائل الحضارة السليمانية للأمة الإسلامية :

المتأمل في سورة النمل يرى أنها ابتدأت بتبشير المؤمنين فقال تعالى ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣﴾ النمل: ١ – ٣

فقوله تعالى ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾ أي هذه آيات القرءان وكتاب مبين وهي إشارة لما سيتلى في السورة من آيات وليس كل آيات القرءان، ومن لطائف فواتح السور التي تبتدئ بأسماء الإشارة إلى آيات القرءان أنها واقعة في السور القرءانية الغير متطرفة من حيث الترتيب لأن دلالتها على ما في السورة من آيات أما عند الإشارة إلى كتاب القرءان كله فقد جاء اسم الإشارة في موضع واحد في بداية قراءتنا للمصحف من سورة البقرة فقال عز وجل ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ البقرة: ٢ فتكون الإشارة بذلك في موضعها المناسب لتفيد الإشارة إلى كل الكتاب الذي أمامنا للقراءة وهو القرءان الكريم، وقد قال ابن جرير الطبري في تفسيره: قال عامة المفسرين (ذلك الكتاب) معناها هذا الكتاب وأنه كالمشاهد المشار إليه، وجاء في تفسير ابن كثير أن ابن عباس قال:(ذلك الكتاب)أي هذا الكتاب وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم.

﴿هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ النمل: ٢ أي فيها هدى وبشرى للمؤمنين، والبشرى هي الخبر السار الذي لم يكن يعلمه المخبر به من قبل، ثم تطرقت الآيات بعد ذلك إلى فتنة القدس ومرحلة استضعاف بني إسرائيل ومنعهم من الخروج إلى القدس من

قبل فرعون ثم أعقبها عز وجل مباشرة بذكر مرحلة تمكينهم فيها أيام الدولة السليمانية المسلمة وبما تميزت به من خصائص حضارية، وفي هذا الترتيب والتناسب توضيح للبشرى المذكورة في بداية السورة التي زفها الله للمؤمنين الموجه لهم الخطاب والتي لا توجد بشرى دنيوية ولا أخروية غيرها في السورة لهم ، وحاصلها أن المؤمنين سيمرون على مرحلة استضعاف وحرمان من القدس كما مر عليها بنو إسرائيل ثم يتلوها التمكين فيها و بناء دولة قوية مركزها وعاصمتها القدس كما كانت عاصمة للدولة السليمانية المسلمة وستبقى القدس أرض إسلامية إلى يوم القيامة وإن سلبت من المسلمين في بعض الأحيان، وستكون العاقبة الحسنى فيها للمسلمين بشرط أن يأخذوا بالمقومات الحضارية للدولة السليمانية في العصور القادمة المتطورة، ومنها عصر الثورة التكنولوجية الذي نحن فيه ومن أهم هذه المقومات:

1/ **التمكن العلمي والتكنولوجي** ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥﴾ النمل: ١٥

2/ **التفتح على اللغات العالمية وترجمة العلوم والمعارف** ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ النمل: ١٦

3/ **الاعتماد على التنوع في تخصصات قوات الجيش والتنسيق الدائم بينها بتنظيم مناورات وتدريبات مشتركة فيما بينها لضمان الجاهزية والتأهب المستمر**

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾ النمل: ١٧

4/ **التواضع مع الأمم الضعيفة ومساعدتها على الحياة والبقاء** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ النمل: ١٨

5/ **الصرامة في الحكم وتطبيق القانون على الجميع دون ظلم وتعزيز الرقابة في الأجهزة الحساسة للدولة وتكريس مبدأ المحاسبة** ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١﴾ النمل: ٢٠ - ٢١

6/ **إنشاء أجهزة استخبارات قوية نافذة إلى عمق المعلومة والحدث المحلي والعالمي** ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ النمل: ٢٢ - ٢٣

7/ **محاربة الأكاذيب والشائعات المضللة للدولة والمفككة للمجتمع** ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧﴾ النمل: ٢٧

8/ **الاعتماد على طيران الاستطلاع والإنذار المبكر وشتى أنواع طائرات وصواريخ القتال الحربي وكذلك الرصد بالأقمار الصناعية والتفوق في تقنيات وأجهزة سرعة الاتصالات ونقل المعلومة والذكاء الاصطناعي** ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ النمل: ٢٨

ويضاف إليها السلاح البحري خاصة منه الغواصات الحربية والبارجات والسفن والزوارق المسيرة وغير المسيرة وكذا الأسطول البحري الاقتصادي وقد هدانا الله إليها في سورة ﴿ص﴾ في قوله تعالى عن ملك سليمان

﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨﴾ ص: ٣٦ - ٣٨

9/ **الدعوة إلى الإسلام وعدم التقوقع على الذات.**

10/ **الاعتماد على مراكز خاصة للدراسات الاستشرافية لدراسة مواقف الأمم والكيانات العالمية التي تبيت الشر للدعوة الإسلامية والمسلمين وبناء المواقف المناسبة على أساس معطياتها العلمية الواقعية** ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ النمل: ٢٩ - ٣٥

11/ **الصمود على المبدأ أمام إغراء وترهيب العدو وضرورة امتلاك اقتصاد قوي وأسلحة ردع فتاكة لوأد أطماع العدو في الأمة** ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم ۖ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ النمل: ٣٦ - ٣٧

12/ **التفوق على العدو في السرعة التقنية في كل مجالات ونواحي الحياة، لأن الأسرع هو الأكثر تحضرا وتفوقا** ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ النمل: ٣٨ - ٤٠

13/ **إسناد القيادة السياسية للشخصيات الذكية الراشدة المجربة، التي تحسن التدبير والتخطيط، وفتح المجال أمام أصحاب الطاقات المتميزة بما يخدم الصالح العام للأمة** ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ النمل: ٤١

14/ **قوة الحجة والإقناع المادي والفكري والنفسي عند دعوة الناس للإسلام وقيمه السامية** ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾ النمل: ٤٢ -٤٤ **فقتل سليمان حاجز الكبر المتأصل في شخصية بلقيس بالإقناع المادي والفكري وبتوضيف علم النفس الدعوي.**

15/ **الإبداع العمراني والصناعي والتطور المدني ويدل عليه الآية السابقة وما جاء في سورة سبأ في قول الله تعالى** ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ سبأ: ١٢ – ١٣

إرشادات السور الأربع الطوال:

ونقصد بالسور الأربع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، وهي السور المدنية المتوالية التي يبتدأ بها القرءان الكريم والتي فصلت في شؤون بني إسرائيل العقائدية والسلوكية والنفسية تفصيلا شافيا، بهدف إرشاد المؤمنين من البدايات التأسيسية لمنهاج الأمة إلى كيفية التعامل مع أكبر خطر يهدد استمرارها الوجودي والمتمثل في الظالمين من بني إسرائيل خصوصا، وأهل الكتاب عموما.

1/ منهج سمعنا و أطعنا :

تعد سورة البقرة أطول سورة في القرءان الكريم لما فيها من تفصيل في شأن بني إسرائيل من ناحية سلوكهم الشاذ وعصيانهم لأوامر الله وأوامر نبيه موسى عليه السلام، ورفضهم الانصياع والطاعة، والتعقيبهم على الأوامر الإلهية والنبوية تارة بالسخرية والتهكم، وتارة أخرى بالعصيان والتعجب، ومن ذلكم عبادتهم العجل بعدما أنجاهم الله من فرعون ورأيتهم لقدرة الله رؤيا العيان عندما شق لهم البحر ليعبروه بسلام ، وكذلك تهكمهم بموسى حين أبلغهم أن الله يأمرهم بذبح بقرة ليعرفوا المجرم المجهول الذي ارتكب جريمة القتل الغامضة، واشتراطهم على موسى النظر إلى الله مباشرة دون حجاب ليؤمنوا له، واعتراضهم على الطعام الذي رزقهم الله به في التيه فطلبوا غيره تكبرا و محاولة لتعجيز موسى عليه السلام وغير ذلك كثير مما قصه المولى في السورة.

وقد ذكر الله في هذه السورة عصيان بني إسرائيل بعد زمن موسى عندما اعتراضوا على اختيار الله لطالوت ملكا عليهم يقودهم في قتالهم ضد أعدائهم الذين أخرجوهم من ديارهم رغم أنهم هم الذين طلبوا من نبيهم أن يعين الله لهم هذه الشخصية الكفأة للقيادة، ومن ذلكم عصيانهم لأمر الله لهم بأن يدخلوا الباب القدس سجدا وكان ذلك زمن نبي الله يوشع بن نون .

ثم نجد أن الشق الآخر من السورة مشحون بجملة من التشريعات المتكاملة الموجهة للمسلمين والتي تكاد أن تأتي على أهم محاور الشريعة فصيغت بأوامر إلهية متسلسلة متكاملة تصب كلها في جعل الأمة قوة روحية واجتماعية واقتصادية وفكرية وعسكرية قادرة على مواجهة حسد بني إسرائيل لها على الاصطفاء الرباني ووراثتها للقيم العليا والأراضي المقدسة كلها.

وبين الله في السورة بوضوح المنهج الإسرائيلي في التعامل مع أوامر الله على مر التاريخ وهو منهج (سمعنا وعصينا) فقال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ البقرة: ٩٣ وأرشد المؤمنين إلى المنهج النقيض لمنهج بني إسرائيل في التعامل مع أوامره ومع أوامر نبيه وهو منهج (سمعنا و أطعنا) النابع من الإيمان العميق كي لا يكونوا مثل بني إسرائيل وينصرهم الله عليهم إذ الأخذ به انتصار وتركه خذلان وهوان، فجاء هذا التوجيه في خواتيم سورة البقرة كخلاصة للسورة وتبيان للفرق بين أمة النبي صلى الله عليه وسلم وأمة بني إسرائيل في الطاعة وأثر ذلك في تحقق نصر المؤمنين على الكافرين باختلاف مللهم، فتأمل قوله تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ البقرة: ٢٨٥ – ٢٨٦

والأخذ بهذه السورة يجعل الأمة دولة أو أفرادا مستعصية على أعدائها وأعداء الله من الجن و الإنس ولعل هذا ما يقصده النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه مسلم عن أبي أمامة الباهلي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة ﴾ ولاحظ أن النبي صلى

الله عليه وسلم قال أخذها ولم يقل حفظها والأخذ أشمل وأعم، فهو يشمل القراءة والحفظ والتفقه في أحكامها والعمل بما حوته من الهدى.

وقوله صلى الله عليه وسلم لا يستطيعها البطلة أي أهل الباطل كلهم وليس كما فسره البعض أنهم السحرة لأن لفظ البطلة عام يشمل السحرة والشياطين والإنس الكفرة المعادين للمسلمين، فالسحرة لا يستطيعوها لاحتوائها على آيات إبطال السحر ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾ البقرة: ١٠٢

وأما شياطين الجن فإنهم لا يستطيعونها لاحتوائها على أعظم آية في القرءان وهي آية الكرسي التي تتحدث عن عدم غفلة الله لا بسنة ولا بنوم وقدرته على حفظ السماوات والأرض وإحاطة علمه بكل شيء وهي المعاني التي ببركتها يحفظ الله من قرأها من المؤمنين من شر الشيطان فلا يقرب الشيطان مؤمنا قرأها حين يأوي إلى فراشه للنوم حتى يصبح كما جاء في الحديث الطويل الصحيح الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه أن أسيره الذي كان شيطانا وهو لا يدري، وجاء ليسرق من الصدقات فأمسك به أبو هريرة وقال له لأرفعنك إلى رسول الله فقال له الشيطان خل سبيلي وسأعلمك كلمات ينفعك الله بها فقال له: ما هي، قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختمها فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فلما رجع أبو هريرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم

أخبره بذلك، قال له النبي بأن ذلك الأسير الذي كنت تخاطبه هو شيطان إلا أنه كان صادقا، فقال: لقد صدقك وهو كذوب.

ويروي مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة﴾

وأما البطلة من الإنس المتربصين بالمسلمين فالوقاية من شرهم تكمن في الأخذ بمنهج سمعنا وأطعنا في الأحكام الواردة في السورة التي من شأنها مجتمعة أن تكسب الفرد والأسرة والأمة المسلمة على حد سواء منعة ومناعة ضد كيد خصومها خاصة اليهود المفصل في شأنهم في السورة، ولهذا فإن حديث النبي صلى الله عليه وسلم المتفق عليه عن أبي مسعود البدري الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم ﴿من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه﴾ معناه أن ما تضمنته آخر آيتين في سورة البقرة عبارة عن خلاصة لفحوى السورة المتعلق بمنهج السمع والطاعة وأثره في الوقاية من شر الأعداء والنصر عليهم، ولذلك فإنهما تكفيان المؤمن إذا قرأهما وعزم على العمل بمنهج الإيمان والسمع والطاعة المذكور فيهما لأن مفعول الآية وأثره مرتبط دائما بمعناها فهما وخشوعا وعملا، ويصدق كذلك أن يكون معنى كفتاه أي كفتاه عن قراءة السورة كاملة لأنهما خلاصة واختصار لمحتواها ، ومن المفسرين للحديث من قال كفتاه عن قيام الليل ومنهم من قال عن كل الأوراد تلك الليلة والذي أراه أن ذلك بعيد.

وبالرجوع إلى منطلق السورة نجد بأن معانيها تصب من البداية في بيان أنماط تعامل العباد مع كلام الله وأوامره ، فاستهلها الله بتفصيل الفرق بين ثلاث طوائف من الناس في تفاعلهم مع أوامره وكلامه، وهم المؤمنون والكافرون والمنافقون، ثم ذكرت السورة انصياع وإذعان الملائكة التام لأوامر الله رغم عدم معرفتهم الحكمة

منها، وبرز ذلك عند استجابتهم لأمر الله لهم بالسجود له عز وجل شكرا وتعظيما على خلق آدم مع علمهم بأنه سيكون من ذريته من سيفسد في الأرض ويسفك الدماء، وهم الذين مدحهم الله في كتابه بأنهم عباد طائعون لا يعصوه ويفعلون ما يؤمرون، ثم ذكرت السورة تمرد إبليس وعصيانه لأمر الله ثم توريطه لآدم في المعصية ليكون مثله في سلوك طريق المعصية، لكن الله أخزى إبليس الذي كان عصيانه عصيان تكبر، وتاب على آدم التائب النادم على خطيئته، ثم ذكر الله عصيان بني إسرائيل لأمره ونقضهم لمواثيقهم معه وهو العصيان الذي سيستمر إلى يوم القيامة بدافع الكبر والحسد المتأصلين في الشخصية اليهودية كتأصلهما في شخصية إبليس تماما، ويعد عصيانهم وإفسادهم في الأرض الامتداد الواقعي والسلوكي لمنهج إبليس القائم على العصيان (سمعنا وعصينا) والتكبر والاستعلاء (أنا خير منه).

بعد سورة البقرة تأتي سورة آل عمران المتممة لمعانيها والمقترنة بها في الدنيا والآخرة ففي الحديث الذي يرويه مسلم عن أبي أمامة الباهي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما ﴾

فأسهبت السورة في بيان عاقبة مخالفة منهج سمعنا وأطعنا الذي أوصت به سورة البقرة بتفصيلها في أحداث غزوة أحد التي مني فيها المسلمون بهزيمة نكراء، وحللت السورة الدوافع النفسية التي جرت بعض الصحابة إلى عصيان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالثبات على جبل الرماة لحماية ظهور المسلمين وعدم النزول لمشاركة الجيش الإسلامي لا في الغنيمة ولا في القتال فقال صلى الله عليه وسلم ﴿إذا رأيتمونا نذبح فلا تنصرونا وإذا رأيتمونا نغنم فلا تشاركوننا﴾ لكن الصحابة الرماة الذين كانوا على الجبل غلبتهم الرغبة في متاع الدنيا عندما رأوا بشائر النصر

ونزلوا من موقعهم الإستراتيجي فوقعت بهم الهزيمة التي كانوا يكرهون، وذبح المسلمون وقتلوا تقتيلا، ونال المشركون من رسول الله بشج رأسه وكسر رباعيته.

ثم جاءت سورة النساء التي أعيد فيها ذكر المنهج المعوج لبني إسرائيل في التعامل مع أوامر الله ورسله وهو منهج (سمعنا وعصينا) فقال الله عز وجل فيها ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ٤٦﴾ النساء: ٤٦ وجاءت السورة مليئة بنماذج وصور لعصيان بني إسرائيل كعصيانهم يوم السبت واتخاذهم العجل إلها من دون الله، ونقضهم لمواثيقهم ورفضهم السجود لله فسجدوا كرها برفع الله للطور فوق رؤوسهم تهديدا لهم، وفي المقابل ألزم الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله في كل الظروف ليخالفوا منهج اليهود فقال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ النساء: ٦٤ - ٧٥

وقال ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٨١﴾ النساء: ٨٠ - ٨١

وإذا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن القيادة السياسية للأمة فلا بد أنه سيكون للمسلمين ولاة أمور يقومون على شؤونهم، فوجه الله لهم خطابا خاصا بهم يأمرهم فيه بضرورة طاعتهم لله وللرسول بعد أن أمر بذلك كل المؤمنين، فهو تخصيص بعد تعميم في الخطاب يفيد تحذير أولياء أمور المسلمين من مغبة أن يدفعهم سلطانهم ونفوذهم الذي يشعرون به إلى معصية الله ورسوله في سياستهم لأمة الإسلام أو ظلم الرعية المؤتمنين عليها.

فقال عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ النساء: ٥٩

وهنا جملة ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ معطوفة على المأمورين بالطاعة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وليس على الواجب طاعتهم شرعا وهما (الله والرسول) لأنه إذا دخل الله أو الرسول في مجموع المأمور بطاعتهم أو معطوف عليهما بالواو كانت طاعة من كان معهما عبادة لله وواجب لا يمكن مخالفته أبدا ولا يصدق ذلك إلا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البشر فكلمة ﴿وَأُوْلِي﴾ تعرب معطوف على جملة المنادى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم وحذفت النون من آخره للإضافة وهو مضاف ﴿ٱلۡأَمۡرِ﴾ مضاف إليه مجرور، و نلاحظ بأن فعل الأمر﴿أَطِيعُواْ﴾ جاء مقترن باسم الله وتكرر مع اسم الرسول ولم يكن ذلك مع أولي الأمر وهذا فيه دلالة على ترجيح المعنى الذي قدمته وكذلك قوله بعد ذكر وجوب الطاعة﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي

شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ فباستثناء أولي الأمر من المرجعية المعتد بها عند تحاكم المسلمين حال التنازع والاختلاف بينهم إلى الحق الذي لا يمكن التنازع فيه أو في معناه سواء كان النبي حيا بين الصحابة أو ما كان صريحا صحيحا من القرءان والسنة لا يحتمل التأويل بعد وفاته، دليل على أن أولي الأمر ليسوا مقصودين بالطاعة المطلقة فيما سبق لأن الطاعة المطلقة لا تكون إلا لله والرسول فحسب، أما قول ورأي أولي الأمر فقد يتنازع فيه الناس بذرائع شتى كما سنبينه، وهذا التفسير لمعنى الآية هو الذي يتناسب مع سبب نزولها فقد أخرج البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية فاستعمل رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب فقال: أليس أمركم النبي أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال فاجمعوا لي حطبا، فجمعوا، فقال: أوقدوا نارا فأوقدوا، فقال ادخلوها، فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ﴿لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف﴾ ولتقريب الفهم نضرب مثالا بآية من سورة الأنفال أمر الله فيها رسوله صلى الله عليه وسلم بالتوكل عليه وعطف على ذلك بذكر المؤمنين لأنهم مأمورين بنفس ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من توكل على الله وليس معناها أن يتوكل النبي على الله وعلى المؤمنين الذين معه وإلا تنافى ذلك مع توجيهات القرءان بالتوكل على الله وحده فقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ الأنفال: ٦٤ وقبل هذه الآية بآية قال ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ الأنفال: ٦٢ فتأييد المؤمنين للرسول من نتائج توكله على الله وحده وليس النبي مأمور بالتوكل عليهم. فإذا أولوا الأمر يطاعون إذا أمروا بطاعة ويعصون إذا أمرونا بمعصية، ولا نخرج

عليهم برفض حكمهم لنا أو قتالهم ما أقاموا الصلاة ولم نرى منهم كفرا واضحا صريحا وذلك سدا لباب الفتنة والفوضى في المجتمع، وعلينا أن نأمرهم في نفس الوقت بالمعروف وننهاهم عن المنكر والظلم وإن كرهوا ذلك منا وعلينا أن ننصح لهم ما استطعنا دون أن نستنقص من قدرهم وكل ذلك من أجل أن يبقى ضمير الأمة مستيقظا ولا تطغى سلطة الحكم على رقاب الرعية بدعوى وجوب الطاعة المطلقة وهذا هو مضمون أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في طاعة أولي الأمر وأحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأحاديث النصيحة عند الجمع بينها فهما وعملا، أما بتر النصوص عن بعضها، والعمل بجزئية دون تناسقها مع الجزئيات الأخرى فيؤدي إلى اختلال في التوازنات في الفهم واضطراب عند العمل بين سلطة رقابة الرعية وسلطة الحاكم.

أما في حالة الأحداث السياسية والاجتماعية التي تطرأ على الأمة وتحتاج إلى تحليل واتخاذ القرارات المناسبة التي يفضي إليها الاجتهاد والاستنباط وتقصي الأخبار، فقد قرن الله الصلاحية في تقرير الموقف حيالها بين ردها إلى اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم وإلى اجتهاد أولي الأمر من حكام المسلمين المستعينين بالعلماء والحكماء وأهل الاختصاص والخبرة الذين يستطيعون الوقوف على حقيقة الأمور فقال المولى عز وجل ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ النساء: ٨٣ فلم يذكر الله نفسه هنا مع الذين يرد لهم الأمر وهم الرسول وأولوا الأمر لأننا نستطيع أن نناقشهم ونبدي رأينا ونعترض بعقلانية عليهم كما اعترض الحباب بن المنذر على الموقع الذي اختاره رسول الله عند نزول معسكر المسلمين يوم بدر فقال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال : بل هو

الرأي والحرب والمكيدة قال: يا رسول الله، إن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القلب (أي الآبار) ثم نبني عليه حوضا فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فتبعه النبي في ذلك لسداد رأيه فأفلح الجيش كله، وعلى هذا فإن الأمور التي ليست بشريعة وتحتمل الاعتراض عليها لا يعطف الله فيها أولى الأمر على نفسه ورسوله لأن أوامرهم حينها لا تعتبر تشريعا في الدين وليس لها قدسية تمنع من النقد.
وتناولت السورة طاعة صعبة على نفوس مرضى القلوب والمنافقين وتمثل في الخروج لقتال ومقارعة الأعداء، وكذا الطاعة في التحاكم إلى ما أنزل الله من شريعة ومنهاج فحذرت السورة من هذه الفئة التي تراوغ في هذين المجالين لتتملص منهما وتعطلهما في دولة الإسلام بسبب أنها تعاني من ضعف في الإيمان وضعف في الولاء للوطن وهما المحددين الرئيسيين في انتقاء الصهيونة لهذه الفئة لتكون عونا لها لإفشال المسلمين واختراق وتفريق صفوفهم.

وجاءت تشريعات السورة مكملة لما أسست له سورة البقرة فيما يتعلق بشؤون الأسرة والإصلاح الاجتماعي والأسري والحقوق المالية للأفراد والجماعات وغيرها لتصب جميعها في مقصد بناء قوة اجتماعية متلاحمة ومتماسكة تستعصي على عدوان وخطط اليهود والنصارى والمشركين إن عمل المسلمون بها وفعلوا منهج (سمعنا وأطعنا).

أما سورة المائدة فبدأت بأمر الله المؤمنين بالوفاء بالعقود والعهود والمواثيق معه ومع الناس كي لا يكونوا مثل بني إسرائيل الذين نقضوا مواثيقهم التي واثقهم الله بها كم من مرة، فنزل عليهم العذاب والخذلان والمذلة والهوان، وأهم ميثاق غليظ ينبغي للمسلمين الوفاء به مع الله هو ميثاق الالتزام بمنهج (سمعنا وأطعنا) وهو المنهج المفضي إلى النصر على اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام فقال الله عز وجل

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾ المائدة: ٧

ووبخ الله في السورة اليهود والنصارى على تعطيلهم للأحكام والحدود الشرعية التي أنزلت في التوراة والإنجيل، والتي يعلمون أنها أنزلت من عند الله لكن لا ينفذونها تهربا من شدتها على العصاة والبغاة الذين يقع عليهم القصاص وتقع عليهم العقوبة ردعا لهم ولغيرهم عن ارتكاب الفساد في الأرض.

وحذر الله المؤمنين من الوقوع في نفس سلوك اليهود والنصارى ليتملصوا من أحكام القصاص والحرابة والسرقة وغيرها من الحدود الغليظة على المجرمين والتي يعد تنفيذها أمان للأمة ودرء للفساد المضعف لها أمام خصومها فقال تعالى ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ

لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٞ ٤٠ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا
بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ
ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ
وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١
سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن
تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ
بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٣ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا
ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ
ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ
يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ
وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن
تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥
وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ
هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٦ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ
ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧ وَأَنزَلۡنَآ
إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ

لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ المائدة: ٣٢ - ٥٠

كما كانت هناك دراسة مستفيضة وعميقة في السورة لنفسية وسلوك الشعب اليهودي المتكبر على البشرية كلها المفسد في الأرض، والذي يثير بدافع تكبره المتاعب للبشرية كلها بتسببه في نقض عهود الناس مع بعضهم بعضا وإثارة الحروب والقلاقل فيما بينهم من أجل أن يستفيد منها ومن تبعاتها المؤلمة، ومثاله ما حصل في القرن الماضي لما استفاد الصهاينة من الحرب العالمية الثانية ماليا بجمع ودائع الذهب لكثير من دول العالم المتحارب في البنوك الأمريكية اليهودية بحكم الموقع الجغرافي الأمريكي الذي كان ولا يزال في منأى عن ميادين الاقتتال وبؤر التوتر فاستعملوها للسيطرة على النظام المصرفي المالي العالمي بعد الحرب وحققوا وطنهم المأمول على أرض فلسطين بوعد بلفور المشئوم، وفي المقابل ذاق ويلات الحرب غيرهم من الناس.

ولحد اليوم يعتبر اليهود هم المسئولين عن كثير من الحروب والنزاعات الداخلية للبلدان بإثارة الفتن بين الشعوب التي يرون أنها أدنى منهم قدرا وصراعاتها تحقق لهم مصالح أمنية و اقتصادية مالية أو تحققها لدولة أمريكا الراعية لمصالح الصهيونية .

قال عز وجل ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾ المائدة: ١٨

وقال ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾ المائدة: ٦٤

فإبراز هذه الحقيقة للناس بتقديم الأدلة الواقعية القاطعة من قبل المسلمين من شأنه أن يساعد المسلمين في كسب تعاطف الأمم معهم لإزالة الكيان الصهيوني من فلسطين وإضعاف تنظيمه العالمي، ولن يحصل ذلك إلا بعد بذل المسلمين لجهد استخباراتي وإعلامي جبار وإنشاء مراكز متخصصة في تحليل واستنباط الأسباب الخفية للحروب التي تقف وراءها الصهيونية والتي لها علاقة بموازين القوي المؤثرة على تواجد وأمن إسرائيل، وسيكون ذلك جانبا مهما في العمل التحسيسي المحرج للكيان الصهيوني أمام العالم.

2/منهج فلا تخشوهم واخشون :

دلتنا السور الأربع على جانب نفسي مهم في صراعنا مع اليهود أو أعوانهم من النصارى ويتمثل في عدم الخشية والخوف منهم عندما نعمل بما شرعه الله لنا من أحكام أو عند استدعاء الأمر لقتالهم والجهاد في سبيل حفظ بيضة الإسلام والذود عن حياضه، وأن لا نخشى من تعليقاتهم المغرضة على التزامنا بترك ما حرم الله علينا ليدفعونا إلى استحلاله كما استحلوه، وكذا همزهم ولمزهم لنا عندما نتميز عليهم في خصوصياتنا الدينية ومنها ما حصل من تغيير للقبلة في زمن نزول الوحي بعد ما كانت إلى المسجد الأقصى، فتحول المسلمون إلى المسجد الحرام بأمر من الله ليخالفوا اليهود ويتميزوا عنهم بقبلتهم، ونجد أن هذا المنهج القرءاني كرر ذكره في السور الأربع على النحو التالي:

قال تعالى ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ البقرة: ١٥٠

قال تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥

قال تعالى ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ النساء: ٧٤ - ٧٧

قال تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ المائدة: ٣

قال تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ المائدة: ٤٤

وقد عرض الله نموذجا لجبن بني إسرائيل في سورة المائدة لما عصوا الله حين أمرهم موسى بالدخول إلى القدس واحتجوا بأنهم لا قبيل لهم بقتال القوم الجبارين الذين كانوا يسكنوها وأن المعركة بينهم وبين عدوهم غير متكافئة وهو نفس التبرير الذي يتبناه المتخاذلون المسلمون اليوم في نصرة قضية الأقصى، فجاء علاج حالة الرهاب هته على لسان رجلين من الذين يخافون الله ولا يخافون من الناس بتوجيه القوم إلى كسر حاجز وعقدة الخوف بالدخول على القوم الجبارين من باب القدس فحسب لتتغيير حالتهم النفسية السلبية إلى وإقدام وجرأة، لأن الإنسان بطبعه إذا أقدم على الشيء الذي يخاف منه وتعامل معه زالت مخاوفه أو نقصت، كما طلبوا منهم أيضا استحضار قدرة الله والتوكل عليه وتذكر معيته مع المؤمنين لما فيه من إدخال شعور السكينة والثقة على قلوبهم.

وهذه الحالة النفسية السلبية نرى أنها مسيطرة على مرضى القلوب اليوم في العالم الإسلامي بسبب الهزائم والنكبات المتكررة أمام اليهود الذين يتلقون العون من أقوى الدول عسكريا في العالم، فبث الله هذه القصة في السور الأربع الطوال لتستفيد الأمة من إرشاداتها النفسية لما تمر على نفس الحالة التي مر بها بنو إسرائيل وعلى نفس الموقف.

وحين تنضج الأمة ستثمر جيلا بديلا عن الجيل المتقاعس المنهزم أمام الصهيونية وستكون أهم صفاته عدم الخوف أو الخشية من لوم اللائمين وتحرش المعتدين عند

تحركه للجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله أو عند العمل بشريعة الإسلام، فتجدهم يعملون بكامل التشريعات الربانية دون أي مركب نقص يفضي إلى جزأرتها وجعلها عضين يؤخذ منها بعض وينبذ الباقي وراء الظهور، وسيواجه هذا الجيل اليهود وأعوانهم من النصارى ومرضى القلوب المغرر بهم من بني جلدة المسلمين الذين خانوا الأمة وقضاياها الكبرى وشعارهم في المواجهة عزة على الكافرين ورحمة وذلة ومحبة مع المؤمنين، وقد جاء ذكر ظهور هذا الجيل في سورة المائدة بعد ذكر استفاقة مرضى القلوب في أمة الإسلام الذين كانوا يوالون اليهود والنصارى بدافع ومبرر الخشية منهم، وذلك بعد أن يحدث الله أمرا يؤدي إلى تغير موازين القوي أو نصرا لم يكونوا يتوقعونه فيندمون على ما كان منهم من تفريط القضايا الكبرى للمسلمين وأهمها قضية القدس، وكل هذه الأمور والأحداث بينتها آيات من نفس السورة التي قصت لنا قصة جبن بني إسرائيل وامتناعهم عن القتال والدخول إلى القدس وهي سورة المائدة فقال الله تعالى ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ المائدة: ٥١ - ٥٦

وفي ضوء أواخر هذه الآيات يتبين أن الجيل البديل الذي سينصره الله على بني إسرائيل وحلفائهم النصارى المفسدين صفته هي الركوع والسجود وإقام الصلاة

وإيتاء الزكاة ليبقى الاعتناء بالصلاة دائما هي الميزة الضرورية الثبوت لمن سينصرهم الله على اليهود كما بينا ذلك في بداية هذا الكتاب، وأضاف الله إليها هنا إيتاء الزكاة.

وإني أرى أن هذه الآيات تتحدث عن واقعنا في هذا العصر وليس عن واقع الصحابة لأن الموالاة بين اليهود والنصارى المذكورة فيها ضد المسلمين لم تحصل إلا في هذا الزمان الذي ظهرت فيه المسيحية الصهيونية الخادمة لأهداف اليهود في أرض فلسطين وفي العالم كله والتي أنشأها رهبان عملاء يهود لما اخترقوا الكنيسة الأوروبية فغيروا وبدلوا في المذهب البروتستانتي، أما قبل ذلك فقد كان العداء هو الغالب على العلاقة بين الملتين، والشيء الآخر الذي يشير إلى أن الآيات تتكلم عن واقعنا ما جاء فيها عن مسارعة مرضى القلوب من المسلمين لموالاة التكتل اليهودي النصراني الصهيوني بدافع ومبرر الخوف منهم ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾ ومرضى القلوب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين كانوا يسارعون في موالاة أوليائهم من يهود المدينة وخارجها أو في التحالف مع اليهود المشركين الوثنيين العرب كما حصل ذلك في غزوة الأحزاب، والله أعلم بمراده .

وإذا أراد المسلمون النصر على أعدائهم والانقلاب بنعمة من الله وفضل في أي زمن ومع أي عدو فما عليهم إلا التحلي بهذه الخصلة النفسية النفيسة والزيادة عليها بالتوكل على الله وطاعة الله والرسول وهذه الثلاثية عبارة عن هدية وهداية هدانا الله إليها في سورة آل عمران في قول المولى تبارك وتعالى ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟

بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ آل عمران: ١٧٢ - ١٧٥

3/ آفـة الفرار من الموت :

تطرقت السور الأربع الطوال إلى قضية الموت من جانبين :

الجانب الأول :

ويتمثل في تشكيل الموت كابوسا وعقدة نفسية عند اليهود تجعلهم حريصين على البقاء في الدنيا المرتبطين بشهواتها ، وقد تحداهم الله عز وجل أن يتمنوا الموت في سبيل عقيدتهم المغشوشة التي يدعون أنها الحق، لأن بواطن أنفسهم وبقايا فطرتهم السليمة لا تقر لهم بذلك ولا تطمئن إليه ، وإفسادهم في الأرض شاهد واقعي على فساد بواطنهم وعقيدتهم فقال تعالى ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤﴾ البقرة: ٩٤ **و إن هذا الجانب النفسي يمثل نقطة ضعف عند اليهود تكرر ذكرها في القرءان أكثر من مرة ليستفيد المسلمون منها عند القراءة النفسية لشخصية اليهود أثناء صراعهم المستمر معهم وليتحلوا بنقيضها المتمثل في تمني الموت في سبيل الله لما فيه من رفع للدرجات يوم القيامة .**

ولما يتكلم الله عن تمني الموت في القرءان الكريم سواء بالنسبة للمؤمنين أو اليهود فإن المقصود به هو الموت أثناء القتال في سبيل الدين الذي يؤمن به المقاتل ولهذا قال الله عز وجل للصحابة يوم أحد ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾ آل عمران: ١٤٣ **فالموت الذي رأوه وكانوا يتمنونه هو الموت في أرض القتال فقد رأوه لما استحر القتل بأصحابهم يوم أحد ودارت الدائرة عليهم**

وكانوا من قبل ذلك يتمنون الشهادة في سبيل الله، وهذا التمني هو المشروع والجائز وما عداه فهو حرام نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عنه ففي الحديث المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه فإن كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الحياة خيرا لي﴾

فكراهية الموت شيء فطري يشعر به الناس جميعا، لكن الفرق بين المؤمن والكافر يكمن في تمني الموت في سبيل الدين الذي يعتنقه كل منهما، فالمؤمن مقدام على المخاطر القاتلة التي تكتنف مهام الدفاع عن دينه، والكافر محجم جبان وإن تصنع بمظاهر الشجاعة فيروي ابن حبان في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . قالت : قلت: كراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت فقال : ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه﴾

وقد بث الله في السور الأربع الطوال ما يحبب الموت في سبيل الله إلى نفوس المسلمين فقال عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧﴾ آل عمران: ١٥٦ - ١٥٧

وقال ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾

فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ آل عمران: ١٦٨ - ١٧١ ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ آل عمران: ١٩٥

وقال ﴿ * فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾﴾ النساء: ٧٤

﴿ * وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾﴾ النساء: ١٠٠

الجانب الثاني :

ويتمثل هذا الجانب في معالجة السور الأربع لمسائل تتعلق بحقوق أهل الميت وغيرهم في تركته التي خلفها وراء ظهره والمجموعة في الميراث والوصية والديون والعدة والنفقة والتي جاءت تفصيلاتها بصورة شافية كافية تكفي المقدم على التضحية في سبيل الله عناء تدبير أموره قبل الموت، فيكون مطمئن البال في كل ما تركه وراء ظهره بأنه سيتصرف فيه وفق العدالة الإلهية ونصوصها القرءانية فيقبل على التضحية في أي وقت ولو كان مفاجئا له، لأن كل المخاوف المرتبطة بالموت تحرر منها .

4/قبلة تمحيص وقبلة عبادة وقبلة وسطية وشهادة :

من حكمة الله عز وجل أن قبلة المسلمين الأولى كانت إلى المسجد الأقصى المبارك ثم أمروا بالتحول من استقبالها في صلاتهم إلى استقبال الكعبة المشرفة، وقد بين

الله تعالى في بداية الآيات التي تتكلم عن تحويل القبلة أن الحكمة من ذلك تكمن في تمحيص المؤمنين واختبار إيمانهم ومدى إذعانهم لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ليتبين الثابت منهم والراسخ في إيمانه من الضعيف المنقلب على عقبيه، وهذه الحكمة التمحيصية كانت مقصودة من الله من البداية حين أمر المسلمين بالتوجه إلى القبلة الأولى لأنه يعلم أنها لن تكون في المستقبل للعبادة وإنما هي قبلة تمحيص وقد حصر الله في آيات سورة البقرة سبب جعلها قبلة أول الأمر في شيء واحد هو تمحيص المؤمنين ولم يربط ذلك بالقبلة الثانية رغم أنها هي المستجد الذي أحدث التغيير

فقال تعالى ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾ البقرة: ١٤٢ - ١٤٣

فقول الله تعالى ﴿ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ ﴾ البقرة: ١٤٣

خطاب جاء بصيغة المضارعة ليفيد جريان التمحيص الإلهي للصحابة في زمن نزول الوحي واستمراره في المستقبل للأجيال القادمة التي لم تشهد زمن تحويل القبلة ولكنها ستكون ممتحنة بالذود عن المسجد الأقصى بالجهاد والتضحية في صراع ونزاع لن يخمد مع اليهود والنصارى الطامعين في سلبه من أيدي المسلمين .

وبعلم الله أن القبلة الأولى ستكون محل صراع ونزاع مع أهل الكتاب غيرها حفظا لهيبة المسلمين وشرائعهم المرتبطة بها وأعطى المسلمين ضمانا بأمان وأمن قبلة العبادة وبلدها مكة، وفي المقابل حملهم مسؤولية حفظ أمن وسلامة القدس والمسجد

الأقصى ليتبين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه في كل زمان وآن، ولتكون القبلة الأولى قبلة تمحيص وبلاء على مر الأيام.

وإليك النصوص التي حوتها السور الأربع الطوال لتؤكد تكفل الله بأمن مكة :

قال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ البقرة: ١٢٥ - ١٢٦

وقال ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ آل عمران: ٩٦ - ٩٨

وأمر الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم برد مفتاح حجابة الكعبة لعثمان بن طلحة بعدما أخذه منه يوم فتح مكة واشرأبت أعناق بني عبد المطلب إليه وكلموا النبي صلى الله عليه وسلم ليعطيهم إياه لتجمع لهم السقاية والحجابة معا فنزل القرءان يأمره برد الأمانة إلى أهلها وأداء المفتاح إلى من كان عنده قبل افتح مكة حفاظا على أمن الكعبة من تخاصم المؤمنين على شرف حجابتها، وتكريسا لمبدأ العدل بين الناس الذي يعد أشرف من مقام حجابة الكعبة وخدمة الحجاج فقال الله جل جلاله ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ النساء: ٥٨

وفي سورة المائدة تكلم الله عن تشريعات تعظيم الكعبة بالهدي المقلد المساق إليها وجعلها بيتا حراما يحرم القتال في حرمه، ويحرم على الكفار دخوله، وكذلك اختيار الله للأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال لتكون جلها في زمن الحج إلى الكعبة حفاظا على أمنها وأمن الحجاج إليها، وكل ذلك يصب في تعزيز بقاء الأمة الإسلامية قائمة الوجود عالمية الديانة والتأثير، مستقطبة للناس بفريضتين عظيمتين من فرائض الإسلام لهما ارتباط بالكعبة هما الصلاة والحج فقال الله جل جلاله ﴿۞جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٩٧﴾ المائدة: ٩٧

وبحكم أن الأمة الإسلامية ستتحمل مهمة تبليغ الرسالة الدعوية العالمية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم كان لا بد من انطلاق هذه الأمة وخروجها من موقع جغرافي وسط في الأرض متمثل في مكة المكرمة ليتناسب موقع الخروج مع الدور الإشعاعي الرسالي المنوط بالأمة، ولتكون الأمة بمثابة قبلة هداية للأمم الأخرى المحيطة بها في العالم ويسهل تواصلها وتفاعلها معهم جميعا ولتشهد على موقفهم تجاه الإسلام في الدنيا والآخرة بحكم أنها هي المبلغة لهم، ويشهد النبي يوم القيامة على أمته التي ورثت عنه مهمة التبليغ، ولهذا لما أجاب الله في سورة البقرة عن تساؤل السفهاء من الناس عن سبب اختياره للكعبة قبلة للمسلمين ربطه بضرورة تموضع هذه الأمة وقبلتها في وسط الأرض لأن الكعبة قبلة للعبادة والأمة الإسلامية قبلة للهداية والعدل بين الناس والشهادة عليهم، والإجابة جاءت في آية هي منتصف ووسط آيات سورة البقرة تماما ورقمها 143 من سورة البقرة التي آياتها 286 آية لتكون وسطيتها في كل شيء حتى في آيات السورة التي ذكرت فيها.

فقال تعالى ﴿۞سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ

شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة: ١٤٢ - ١٤٣

فقول الله جل جلاله ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ متحقق في الأمة من كل جوانب دلالات كلمة ﴿وَسَطٗا﴾ فهي أمة وسط بمعنى الموقع المكاني، لأنها لحد اليوم تشغل الحيز الأوسط في الأرض، وقبلتها كذلك أثبت العلم أنها تبعد تقريبا بنفس المسافة عن أطراف القارات كلها .

و من معاني و دلالات لفظ ﴿وَسَطٗا﴾ العدل والعدالة، فالأمة الإسلامية عادلة بين الأمم والعادل لابد أن يكون على مسافة واحدة من كل الأطراف فيتفاعل مع الجميع دون عائق ولا حائل ولا انحياز، وهذه العدالة بين الناس تؤهلها لأن تكون شهيدة عند الله عليهم وعلى أعمالهم في الدنيا والآخرة، فالأمم التي عايشتها الأمة الإسلامية وعاصرتها تشهد عليها بماعلمته وعاينته، والأمم التي لم تعايشها ستشهد عليها بما أخبرها به الله ورسوله لقوة تصديقها وإيمانها العميق.

فيروي أحمد وابن ماجة و البيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿يجيء النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك وأقل فيقال له هل بلغت قومك ، فيقول : نعم ، فيدعى قومه فيقال : هل بلغكم ، فيقولون لا، فيقال : من يشهد لك ، فيقول : محمد وأمته ، فتدعى أمة محمد، فيقال هل بلغ هذا ، فيقولون : نعم ، فيقول وما علمكم بذلك ، فيقولون أخبرنا نبينا بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه قال : فذلكم قول الله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾

ويروي البخاري والترميذي والنسائي وابن ماجة عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت ، فيقول نعم، فيدعى قومه فيقال : هل بلغكم ، فيقولون : ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقال لنوح من يشهد لك ، فيقول محمد وأمته ، قال فذلك قوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ قال : أي عدلا، قال : فتدعون فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم ﴾

ثم لما تقام العدالة بشهادة النبي وأمته لا يجد الكفار مناص من الاعتراف ببعثة الأنبياء والمرسلين لأن الحجة أقيمت عليهم بأمة النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ الزمر: ٧١

أما النبي صلى الله عليه وسلم فيخصه الله بشيء زائد في التشريف، بأن يشهد له على بلاغه ورسالته وتشهد الملائكة له رفعا لشأنه وإعلاء لقدره، وهي أعلى درجة في سلم الشهادات وأكبر شهادة على الإطلاق فيشهد الله غز وجل بأنه بلغ الرسالة وأقام الحجة على الناس كافة قال تعالى : ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ١٩﴾ الأنعام: ١٩

وقال ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦﴾ النساء: ١٦٦ ولهذا كان النبي في حجة الوداع يشهد الله على نفسه بتبليغ الرسالة لأمته فيقول اللهم فاشهد.

ويوم القيامة تكون أمة النبي صلى الله عليه وسلم بمثابة الكعبة التي يطوف حولها الحجاج من كل أصقاع الدنيا ويستقبلها المصلون في كل الصلوات لأنها ستكون يومئذ في وسط أرض المحشر والأمم والأنبياء حولها لتشهد عليهم فيروي الحافظ أبو مردويه وابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من أحد إلا ود أنه منا ، وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه عز وجل﴾ فالأمة تكون يومها مشرفة على الأمم كالكعبة المشرفة تماما ، إذا أتاها الناس وطافوا حولها.

ويتبين مما قلنا أن الكعبة والعبادات المرتبطة بها من حج وعمرة وطواف وصلاة ما هي إلا محاكاة ورمزية لدور الأمة الوسطي الرسالي في الدنيا بالدعوة وإقامة العدل بين الناس والشهادة عليهم بالحق، ودورها في الآخرة بما أسلفنا ذكره، وإذا تأملت في أعمال الحج والعمرة المرتبطة بالكعبة ومحيطها لا تجدها إلا محاكاة لقصة خروج الأمة في مكة، المنطلقة مما قام به إبراهيم فيها من بناء للكعبة والدعاء لأهلها بالخير والبركة والدعاء لهم أن يبعث الله فيهم خير الأنبياء والمرسلين وما كان على أرضها من أحداث قصة فداء إسماعيل الذي كان يحمل في صلبه نبي أمة الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم وفداؤه كان فداء للأمة ونبيها وتكريما لها قبل خروجها للوجود .

وقد نبهت السور الأربع الطوال إلى ضرورة تفعيل الأمة لدورها العالمي الوسطي بين الأمم بإقامة الشهادة بالحق عليهم والعدل بينهم والحكم بالقسط انطلاقا من إقامته في الواقع الداخلي أولا قبل تعديه إلى الغير لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

فجاءت الآيات البينات ترشد الأمة إلى ضرورة الحكم بالعدل وإقامة القسط بين المسلمين إن أرادت الأمة أن تقوم لها قائمة اجتماعية أو مالية أو سياسية فكانت آيات السور موزعة على تشريعات اجتماعية ومالية وسياسية تضمنت تكريس العدالة وإعطاء كل ذي حق حقه ونهت عن إفساد نظام العدالة والحكم بآفة الرشوة

وشراء الذمم والضمائر فقال تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ البقرة: ١٨٨

ونهت السور الأربعة عن المحابات والتمييز بين المسلمين عند ممارسة دور الشهادة وإقامة القسط بينهم وذهبت إلى حد النهي عن أن يحابي الإنسان نفسه عند الحكم أو الصلح فضلا عن أن يحابي غيره من الناس فقال الله جل جلاله ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ النساء: ١٣٥

ثم لما تقيم الأمة الإسلامية العدل وتأسس لوسطيتها في الداخل تستطيع أن تتطلع بالدور الوسطي العالمي العادل بين الناس وعنه قال الله تعالى﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ النساء: ٥٨

وقال أيضا ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ النساء: ١٠٥

وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ المائدة: ٨

وقال ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ المائدة: ٤٢

وقال ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾ المائدة: ٤٨

وإن وظيفة العدل وإقامة الشهادة العالمية للأمة فيها رحمة بالناس إن هم رضوا بمنظومة قيم العدالة في الإسلام وأرادوا تحكيمها في نزاعاتهم الداخلية أو الدولية أو الإقليمية ولن يجدوا أعدل منها ويعد تحقيقها من المقاصد الواجبة في الإسلام ومن وظائف سيد الأنام وأمته من بعده فقد قال الله جل جلاله ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ الشورى: ١٥

وإن تحقيق الوسطية العادلة من شأنه أن يقطع الطريق أمام الصهيونية اليهودية التي تأجج الصراعات و النزاعات داخل الدول الإسلامية، وفيما بين الدول، لتستنزفها اقتصاديا وأمنيا وتفككها اجتماعيا وتضمن استمرارية تفوقها الأمني عليها ولتشغلها عن قضية القدس وتحرير فلسطين ، وكذلك تستطيع الأمة بتفعيل الوسطية العادلة أن تنزع الكثير من فتائل النزاعات الدولية التي تخدم بقاء القطب العالمي الأمريكي الداعم للصهيونية في عدوانها على المسلمين.

وأقترح على أهل العمل في الميدان الشاق وحكام الدول الإسلامية إجراءات تعيد للأمة زخم وسطيتها ووزنها في المنطقة العربية الإسلامية والعالم وهي كالتالي :

1/ تأسيس مجلس الصلح والعدالة الإسلامي: ويطلع بمهمة الإصلاح في النزاعات المستعصية الحل داخل الدولة الواحدة أو ما كان بين الدول الإسلامية المنخرطة

فيه، وكذلك إصدار أحكام ملزمة لجميع الأطراف إذا تبين الظالم من المظلوم، وكذلك يكون من صلاحياته التدخل في حل النزاعات الدولية بالعدل إذا طلب منه التدخل فيها و المساهمة في حلها.

قال تعالى ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ الحجرات: ٩ - ١٠

وقد تشرف النبي صلى الله عليه وسلم بحضوره ومشاركته في حلف الفضول الذي عقدته قبائل من قريش قبل الإسلام منها بنو هاشم وبنو المطلب وتعاقدوا فيه على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه حتى ترد عليه مظلمته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أكرمه الله بالرسالة﴿لقد شهدت في دار عبد الله بن جذعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت﴾.

2/**إنشاء مجلس الأمن الإسلامي** : ويتكون من نفس الدول المنضوية تحت راية مجلس الصلح والعدالة الإسلامي وتكمن مهمته في السهر على تنفيذ أحكام مجلس الصلح والعدالة وتفعيل منظومة للدفاع والتعاون الأمني المشترك بين دوله، ويكون من ضمن آفاق أهدافه المستقبلية تحرير القدس وفلسطين التي تمثل أهم قضية عادلة للأمة ويكون من أهدافه نصرة الأقليات المسلمة في العالم والقضاء على الكيان الصهيوني الضال الظالم المتموضع في وسط الأمة، وذو المنهجية المناقضة تماما للمنهجية الوسطية الإسلامية، لاعتماده في تواجده في المنطقة على إشعال نار الحرب بين الشعوب والدول وإضلالهم فكريا وسلوكيا وعقائديا وإفساد أخلاقهم وأرزاقهم.

وقد ربط الله في كتابه تحصيل مقام الشهادة على الناس الذي كرم به الأمة بضرورة جهادها في سبيل إحقاق الحق أينما كان و نشر الخير بين الناس مع التفاني في عبادته، ووعدها إن قامة بهذا الدور الرسالي على أكمل وجه بالنصر على الأعداء لأنه سيكون هو وليها وناصرها فقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ الحج: ٧٧ - ٧٨

وفي هذه الدعوة الربانية للانفتاح على العالم بالمنهج الوسطي العادل ونشر الخير وقاية للكيان الإسلامي من التآكل الداخلي لأن التآكل الاجتماعي والسياسي هو نتيجة حتمية للتقوقع والسلبية تجاه الآخرين وهي سنة اجتماعية وسياسية في الأمة الإسلامية لا تتبدل ولا تتغير، حذر الله منها الدولة والمجتمع الإسلامي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إن هم تركوا الجهاد ونشر الخير والعدل بين الناس فقال المولى جل جلاله ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾ محمد: ٢٠ - ٢٣

5/ التحذير من الربا :

في السور الأربع الطوال المرشدات لنا في صراعنا مع بني إسرائيل آيات تحذر من الربا وتنفر المؤمنين من كسبه الخبيث الذي يكون سببا في نزول عقاب الله عز وجل وخذلانهم إن أصروا على التمادي فيه، لأن الله يغضب ويعلن الحرب على المجتمعات التي تتعامل به وتحول الثمن من ثمن للبضائع والسلع عند البيع والشراء ومقابل على الخدمات إلى مال يدور بين أيدي الناس في معزل عن المشاريع النافعة ودفع عجلة الحياة وقضاء الحاجات، وقاعدته المحكمة عند أصحابه هي خذه ورده إلي بالفائدة، فيستغل بذلك الغني الفقير ويعطى للمال قيمة وهمية زائدة عن حقيقته وأصله، ويخرج المال بذلك عن الدور الذي خلقه الله له، ويستشري الفساد الاقتصادي والاجتماعي ويظهر أثرياء مجرمين لا صنعة لهم ولا حرفة إلا التحايل والنصب واستغلال المحتاجين إلى العون .

قال الله عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾ البقرة: ٢٧٥ - ٢٧٩

فهنا في هذه الآيات من سورة البقرة حذر المولى عز وجل المؤمنين من إعلان الحرب عليهم إن وقعوا في الربا، أما في سورة آل عمران فبعد أن امتن على المؤمنين بنصرهم في حربهم ضد المشركين يوم بدر حذرهم كذلك من أكل الربا لأنهم إن فعلوه سيقعون في حرب أخرى لا قبل لهم بخصمهم فيها، إذ سيكون الخصم حينها صاحب القوة المطلقة ولن يفلح قوم قاتلهم الله فقال ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ١٢٧ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ آل عمران: ١٢٣ - ١٣٢

وبعد أن حذر الله المؤمنين من مغبة الوقوع هذه الجريمة المالية الاقتصادية، بين تورط اليهود واحترافهم في العمل بالربا وأكل أموال الناس بالباطل واستحواذهم على العملة والثروة ليديروها كيفما شاءوا بما يخدم مصالحهم و يضر بمصالح وحياة الناس.

فقال تعالى ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ النساء: ١٦٠ - ١٦١

وقال ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ المائدة: ٤٢

وقال ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ المائدة: ٦٢

وما دامت السور الأربع الطوال مرشدات للأمة في صراعها مع بني إسرائيل فإن تواطؤها واتفاقها على التحذير من الربا والمرابين اليهود، فيه تنبيه لخطورة هذه المعاملة في أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والحضارية قديما، وامتداد خطورتها عبر الأزمنة بتقمص أشكال جديدة أخطر من الأنماط القديمة، تمنح المال قيمة وهمية غير حقيقية، وأبرز هذه الأشكال المعاصرة قصة الدولار الأمريكي الذي أعطته البنوك اليهودية الأمريكية قيمة وهمية سيطرت بها على اقتصاد أغلب دول العالم الحديث، والسبب يرجع إلى رضوخ عدد كبير من دول العالم في مؤتمر بريتون وودز المنعقد سنة 1944 لرغبة أمريكا في اعتماد الدولار مرجع رئيسي لتحديد سعر العملات الأخرى بحكم أنها لم تتضرر من الحرب العالمية الثانية، و يحتاج الجميع إلى قروضها لإعادة بناء ما هدمته الحرب العالمية الثانية، وكانت حينها عملة الدولار العملة الوحيدة المغطاة بالذهب التي أن لها ما يعادلها من احتياط الذهب الذي يعتبر المال الحقيقي والورقة الخضراء تمثيل له فحسب.

فسارعت دول العالم للحصول على الدولار وتكديسه كاحتياط نقد أجنبي ليستعمل في استبداله بالذهب الأمريكي إذا ما حدث تضخم في عملاتها مستقبلا، وكذلك للتعامل به مع أمريكا في التعاملات التجارية التي تشترط فيها أمريكا التسديد بالدولار، ثم بعدما ملأت الدول بنوكها بالدولار طمعا في الذهب تفاجأت بالقرار الربوي للحكومة الأمريكية عام1971 بوقف تحويل الدولار واحتياطات الدول الأخرى إلى ذهب وهو يعرف اقتصاديا بصدمة نيكسون وقامت بعده أمريكا بزيادة طبع عملة الدولار دون أي مقابل ذهبي لها لتوفير السيولة الكافية في أسواق المعاملات العالمية ولتخلق ثروة أسطورية مزيفة تستمد قوتها من القبول الدولي للتعامل بالدولار وأصبح بعد ذلك الدولار بمثابة ثروة الذهب و المال الحقيقي الفطري، بهذا التحايل للبنوك اليهودية الأمريكية وقع أكبر ربا شهدته البشرية بإعطاء قيمة مالية وهمية غير حقيقية لأوراق نقدية أمريكية اسمها الدولار، و أصبح بعدها اليهود هم المستحوذين على البنوك الكبرى الأمريكية وهم المتحكمين في سياسات الغرب وأمريكا وأهداف وأجندات البنوك العالمية الكبرى كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي للتطوير والبناء، وبرزت سياسة العقاب المالي الأمريكي بتجميد أرصدة من يخالف السياسة الأمريكية ويقف عقبة أمام الأهداف الصهيونية وكذلك ظهرت سياسة الإغراء بالقروض والمنح والإعفاء من سداد الديون تجاه من يركع وينبطح .

ولن تصاب إسرائيل في مقتل حتى تكسر الهيمنة اليهودية الأمريكية الغربية على النظام المالي المصرفي العالمي المعاصر و يولي الناس ظهورهم للدولار كعملة احتياط وتسعير أساسية، ولن يتحقق ذلك إلا باستحداث نظام مالي مصرفي جديد لا يوقع البشرية في إمبريالية مالية جديدة وإنما يكون مبنيا على الفطرة و العدالة التي يرتضيها جميع الناس، وأقترح أن يقود هذا التحول المصرفي المالي هيئة عالمية أو إسلامية

مصرفية جديدة تشكل من لجان متساوية الأعضاء ممثلين للدول المشاركة فيها فتشرف على مراقبة طباعة عملة عالمية جديدة للتداول والتسعير يكون نصيب كل دولة عضو منها بقدر نموها وحجمها الاقتصادي و احتياطها من الذهب وذلك بتحكيم معايير واقعية عادلة تتفق عليها جميع الدول الأعضاء، وتكون القيمة الورقية لهذه العملة مقدرة بما يعادلها بالذهب ليمكن استبدالها به لمن أراد ذلك من البنوك والمؤسسات المالية لهذه الدول، وهذا الإجراء سيضمن استقرار سعر الصرف لهذه العملة في السوق المالية تبعا للاستقرار النسبي المعروف لمعدن الذهب وسيجعل لها القبول و الإقبال العالمي.

و قد أشارت إلى هذا المنهج والنظام المالي سورة من الأربع الطوال وهي سورة آل عمران حين ذكر الله فيها المال الذي يميل إليه الإنسان فطريا و يهواه دائما فقال عز وجل ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ آل عمران: ١٤

وأشار الله في نفس السورة إلى مكانة الدينار الذهبي في المعاملات بصيغة المضارعة المفيدة لدوام التعامل به في المستقبل لأن التعامل به يمثل حتمية اقتصادية لا مفر منها فقال ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ آل عمران: ٧٥

وبعد توفير سيولة للعملة العالمية الجديدة واندماجها التدريجي في الواقع الاقتصادي لا بد أن يتبعها تأسيس صندوق للتعاون بين الدول المتبنية لها لحماية اقتصادها من الكساد، فتساهم في جمع رأس ماله هذه الدول على حسب استطاعتها وقوة

اقتصادها، ليتبع ذلك تفاوت فيما بينها في صلاحية تقرير سياساته في الإقراض على قدر المساهمة في رأس ماله وبالضوابط المقترحة التالية:

1/ عدم التدخل في سياسات الدول الداخلية ومنهجيتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

2/ يجب أن تكون قيمة القرض متناسبة مع الذهب الاحتياطي للدولة الطالبة للقرض فلا تكن قيمته أكبر من احتياطي ذهبها.

3/ تسدد الدول قروضها طواعية حسب الجدول الزمني أو يقتطع من احتياطها الذهبي عند التأخر أو العجز، وإذا أمهلت فلا يترتب على إمهالها فوائد ربوية.

4/ عدم دفع فوائد على القروض ليكون القرض حسنا غير مثقل لكاهل الدول المحتاجة إليه.

5/ تمنح الدولة المستفيدة من القرض الدول الأكثر مساهمة فيه فرصا وتسهيلات للإستثمار في بلادها في المجالات التي تحتاج إليها على أساس المنفعة المشتركة ليكون الصندوق مبني على التعاون وليس على الاستغلال والربا.

6/ لكل دولة الحق في الانسحاب من الصندوق واسترداد أموالها لكنها تحرم من خدمات قروضه ولن تكون بالدرجة التي كانت عليها قبل الانسحاب.

ولعل ما سيدفع العالم لتبني هذه الرؤيا القرءانية المصرفية العادلة وتبني هذه العملة الاحتياطية الأساسية الجديدة عالميا هي العقوبات الأمريكية والظلم الاقتصادي والمالي الممارس من قبلها على الدول والذي سيؤدي إلى توجسها في المستقبل من البقاء في قفص الدولار فتغادره إلى المعسكر المالي العادل الجديد طواعية ليسحب البساط من تحت مؤسسات الهيمنة الدولارية تدريجيا، وحين خروج مثل هذه

العملة العالمية للحياة الاقتصادية سيزدهر الاقتصاد العالمي وينمو ويصبح لجهود الشعوب وثرواتها قيمتها الحقيقية، ولا يستطيع أحد حينها أن يبتزها بمنعها من أموالها أو التحكم في سياساتها الخاصة، وستظهر أقطاب وقوى عالمية متعددة تخلق توازنات عالمية يمكن للأمة الإسلامية أن تستفيد منها في صراعها مع بني إسرائيل المدعومين اليوم بقوة من القطب الأمريكي ومؤسسات الورقة الخضراء، وربما قد تكون الأمة الإسلامية من إحدى هذه الأقطاب القوية الجديدة.

أما العملات المشفرة الإلكترونية التي بدأت في الظهور فما هي إلا إجراء ومخطط يهودي استباقي تحسبا لسقوط الدولار، يمهد لإيقاع البشرية في نظام مصرفي أشد وهمية وربوية من الدولار الأمريكي، وإن خروج العملة العالمية أو الإسلامية المقدرة بالذهب للتداول سيسد الطريق أمام المنظرين والمروجين له في العالم .

6/ حماية العقل الإسلامي الواعي من التغييب :

حرص القرءان الكريم على أن لا تكون الأمة الإسلامية أمة متخلفة حضاريا وكيف يرضى الله لها بالتخلف وقد طالبها بقيادة الأمم إلى الخير والرشاد، والقائد يستحق القيادة بتفوقه لا بعرقه أو لونه أو لغته.

وإن التقدم الحضاري لأي أمة ينتج عن رسوخ أبنائها في العلوم وحسن تدبير سياسييها عند تسيير الأمور، وكل ذلك مناطه العقل المشرق الواسع الآفاق الإدراكية والمشبع بالحكمة المكتسبة من التجارب الذاتية والاطلاع على تجارب الآخرين.

وإن الأمة لما غيبت قدراتها العقلية ولم تحسن توظيفها أصبحت في عالم الناس كالطفل الذي لم يبلغ الحلم، فتوضع تحت الوصاية ولا يمكن أن تعيش إلا في كنف الأقوياء الناضجين الذين استعملوا عقولهم في استنباط النواميس الكونية

فصنعوا بها مدنية راقية وعمرانا شامخا وأسلحة فتاكة ترهب القاصي والداني، فكيف يكون مصير الأمة إن سولت لها نفسها يوما أن تتحدى هؤلاء الكبار في عقولهم وإنجازاتهم وهي ما زالت كالطفل الصغير الذي يحبو ولم يستقم في مشيته بعد، ولهذا نجد أن السور الأربع الطوال المتضمنة للتفصيل في الصراع الحضاري للأمة الإسلامية مع بني إسرائيل وأهل الكتاب جاءت حافلة بتشريعات تحمي العقل الإسلامي الواعي من التغييب الذي يجر إلى الهزائم في كل الأصعدة فكانت كل الآيات الممهد لتحريم الخمر والفاصلة في تحريمه مجتمعة في هذا القسم المبارك من القرءان الكريم.

فقال الله جل جلاله ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ البقرة: ٢١٩

وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ النساء: ٤٣

وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ المائدة: ٩٠ - ٩١

وفي ظل المواجهة التي حتمتها الأقدار على الأمة مع العدو الصهيوني وحلفائه المتضلعين في علوم الحياة والصناعة الحربية لا بد أن تسلك الأمة طريق الإبداع

الصناعي والتكنولوجي الحربي بلا تأجيل ولا تسويف، لأنها لن تقدر على القتال يوما ما وهي عاجزة عن صنع أدوات القتال التي تصنع بالتفكير والتبحر في العلوم المادية، وإن استمرت في غفلتها عن هذا الجانب الحيوي فإنها ستجني تسلطا من الأعداء وذلا أكبر مما تعانيه اليوم.

قال جل جلاله﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ النساء: ١٠٢

وأكاد أجزم أن المضي في هذا السبيل الذي يفرض نفسه على المسلمين لن يتحقق إلا بالإرادة السياسية للحاكم المسلم الذي يعد وعيه بضرورة المسير بمثابة الضغطة المهمة على زر بدأ التشغيل للانطلاقة الصناعية الحربية المتطورة، ثم بعد تلك الضغطة لا بد أن تستثمر الأمة في العقول المسلمة المهاجرة التي مازال أصحابها يحملون في قلوبهم الوفاء لدينهم وثوابتهم وأوطانهم، ناهيك عما تكنزه الشعوب المسلمة من عبقريات مهمشة لا يلتفت إليها، وقد يتحجج المثبطون الذين يحسنون التثبيط والفشل أكثر من العمل والأمل أن كل ذلك يحتاج للثروة أولا ومن أين للمسلمين بها، فنجيبهم بأن الثروة تصنعها الإرادة والذكاء والعمل وليس العكس وواقع كثير من الدول في هذا العصر التي انطلقت من فراغ وأحدثت نهضة شاهد على ذلك.

وإذا عدنا إلى سورة الإسراء التي انطلقنا منها في هذا الكتاب نجد بأن الله وصف المسلمين الذين سينهون إفساد بني إسرائيل في القدس مرتين بأنهم أولي بأس شديد والبأس الشديد ربط الله تحصيله في القرءان بمعدن صناعي واحد هو الحديد وذلك لما تكلم عن الصناعة الحربية التي تصنع من مادته وبها يستطيع المؤمنون أن ينصروا الله ورسله فقال تعالى ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ

لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ الحديد: ٢٥

فلابد على المسلمين إذا من اكتساب المهارة اللازمة في الصناعات الحديدية الحربية التي تحتاجها في حروب البر البحر والجو وربما يكون التمهيد لذلك والمدخل إليه إتقان أهم الصناعات المدنية التي تحتاج إليها الأمة في ميادين أخرى.

وزيادة على الصناعة الحديدية ذكر الله في كتابه القصف الناري ودوره الكبير في النصر فقال جل جلاله ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ الرحمن: ٣٥

وأساس تركيب القذائف المعاصرة والرصاص هما العنصرين المذكورين في الآية والمتمثلين في المتفجرات بأنواعها ومادة النحاس وكلاهما مادته الأولية متوفرة عند المسلمين لكن اخيبة أصابتنا بسبب قصر اليدين عن العمل وطول اللسان في الكلام وكثرة المقاومين للتغيير والتجديد.

أشارت السور الأربع الطوال كذلك إلى خطورة تغييب عقول الحكماء من أبناء الأمة الإسلامية بإقصائهم من تسيير شؤون الدولة وتسطير سياستها الداخلية والخارجية بما يعود بالخير على الجميع فطرحت مبدأ الشورى العظيم الذي يحمي الأمة من الحكم الفردي المتسلط المتمثل في فرد أو أسرة أو حزب أو جيش، وتركت السور ضوابط الشورى لاجتهاد المسلمين بما يحقق المصلحة ويدرأ المفسدة.

وقد نجح الغرب في إرساء ضوابط دقيقة في الشورى تضمن دوام الحكم الجماعي وتقديم الأكفأ لتسيير الشؤون العامة للأمة ولو كان ذو أصول ليست أوروبية وتركوا الباب مفتوحا للاستفادة من كل الأفكار الهادفة وإن جاءت من غريم سياسي له رؤيا سياسية مغايرة مادام يحترم ويقدس ثوابت الأمة، ولكن الأمة لما

أرادة أن تنقل هذه التجربة الناجحة التي وحدت بلدانا سياسيا واقتصاديا في أوروبا وأمريكا عجزت عن ذلك ولم ينتج عن نقل التجربة إلا الاقتتال والتمزق والتفتت لأن النيات فاسدة، والعقول متعصبة لأشياء تافهة، ومنظومة الأخلاق مريضة والقلوب لا تحمل همّا للإسلام ولا للأوطان.

قال جل جلاله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ آل عمران: ١٥٩

ونرى في هذه الآية أن الله وصف بطريقة غير مباشرة مستشاري النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم قد يكونون خطائين في سلوكهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذونه وخطائين مع الله فيذنبون وذلك حين قال لهم﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ومع ذلك يأمره أن يستشيرهم لتستفيد الأمة من كل الطاقات العقلية لأبنائها دون إقصاء.

وإذا دققنا النظر في مواقف الشورى في فترة حكم النبي صلى الله عليه وسلم وحكم الخلفاء الراشدين نجد أنها تقسم إلى قسمين :

1/شورى التزويد بالأفكار :

ويلجأ إليها الحاكم والسلطة التنفيذية لجمع أهم الأفكار التي تجود بها عقول المخلصين من أهل الشورى والتخصص لإعطاء حلول للمعضلات التي تنتاب الأمة من حين إلى آخر وتكون الحلول والاقتراحات فيها متباينة أو متقاربة في الطرح، فللسلطة التنفيذية والحاكم الحق في النظر فيها واختيار الأصلح والأنجع منها، ولا تكون حينها الشورى إلزامية التنفيذ.

ومن أمثلتها ما أشار به الصحابة على النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر لاختيار الموقع الجيد للجيش الإسلامي، وكذا فكرة حفر الخندق للتصدي لعدوان الكفار على المدينة في غزوة الخندق، وما اقترحه عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق لجمع القرءان في مصحف واحد فأخذ برأيه بعدما استخار الله وفكر مليا وعن هذه الشورى قال جل جلاله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ آل عمران: ١٥٩ فهذا النوع من الشورى ينتهي بعزم السلطة التنفيذية على اتباع ما ترجح عندها بعد الاطلاع على مختلف الأفكار، والسلطة في الآية متمثلة في شخص النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾

2/ **شورى المشاركة في مسؤولية تحمل القرار :**

وهذه الشورى تكون في الخيارات المصيرية التي لا يرجح الأنجع والأصلح منها بمرجح واضح وهنا تكون الشورى على الشكل الانتخابي أو التصويتي ونتيجتها تكون ملزمة للسلطة التنفيذية والحاكم وعنها قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الشورى: ٣٨

ومثالها استشارة النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة وهم قلة يوم بدر للقاء جيش قريش الذي لم يكن الصحابة قد خرجوا من ديارهم للقائه ولم يعدوا العدة لمواجهته فكان القرار مصيريا ولا يوجد مرجح يرجح القرار السديد ، وكذلك مثاله استشارة النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة في الخروج من المدينة لملاقاة المشركين يوم أحد أو مواجهتهم داخل المدينة، وكان رأيه الشخصي أن يقاتلهم داخل المدينة لكنه أخذ برأي الأغلبية التي أشارت عليه بالخروج ليتحمل أهل الرأي في الأمة كلهم المسؤولية وتنازل النبي صلى الله عليه وسلم عن رأيه مراعاة لرأي أكثر الناس، ولما

جاءت ساعة الخروج ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لباس الحرب قال له الصحابة الذين أرادوا الخروج اصنع ما شئت إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل فقال لهم كما جاء في مسند أحمد و سنن النسائي بإسناد صحيح ﴿ما ينبغي لنبي لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه﴾ ، وكل ذلك ليعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الشورى في مثل هذه الحالات لازمة لا تخالف، وواجب على الجميع اتباع نتائجها، وإذا لم تكن كذلك فما الداعي إليها ولماذا قال الله ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ فجعل الأمر وهو القرار مرتبط برأي الجميع، ولا يكون ذلك عمليا إلا باتباع رأي الأغلبية كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويدخل في هذا القبيل من الشورى شورى اختيار الأصلح للحكم وتسيير شؤون المسلمين، وهذا ما أجمع عليه المسلمون في اختيار الخلفاء الراشدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقبل حصول الفتن السياسية التي غيرت نمط نظام الحكم من تولي منصب الخلافة بالشورى إلى انتقاله بتعيين الخليفة لولي العهد بأمر ملكي أو أميري كما هو معمول به إلى حد اليوم في بعض الدول الاسلامية والأسلم من ذلك والأقرب إلى الشورى عرض المرشحين لولاية العهد في الدول ذات طابع الحكم الملكي على الشعب أو البرلمان لانتخاب من يرونه الأصلح وتجدد الثقة فيه أو تسحب منه لاختيار غيره من العائلة المالكة كل خمس سنوات، أما الملك والأمير فمنصبه يكون ثابتا مستقرا إن شاء الله، وهذا الإجراء سيدفع ولي العهد للاجتهاد اثناء فترة ولايته وتسيير شؤون البلاد، وسيشرك الرعية في المسؤولية ويوطد العلاقة بينها وبين الملك الحاكم، وعلى الدول الاسلامية باختلاف أنظمة الحكم فيها النزاهة في تطبيق هذا المنهج القرءاني الشوري الذي يدرأ كثيرا من الفتن السياسية التي تعصف بكيان الأمة.

أما الأمور التي كانت المصلحة في فعلها جلية عند الحاكم والسلطة التنفيذية فلهم الحق في مباشرتها دون استشارة ولا التفات لمعارضة المعارضين كما كان الحال عند إصرار أبي بكر الصديق على مقاتلة مانعي الزكاة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلتفت لمخالفة عمر بن الخطاب وبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الأمركان يتعلق بحفظ الدين وهيبة نظام الحكم الجديد، وهو أمر لا يحتمل التأجيل في نظر الخليفة أبي بكر الصديق وعدم الحسم فيه سيفتح الباب لتآكل الدولة من الداخل وهدم الإسلام ركنا ركنا.

خاتمة:

وآخر ما أقوله في هذا الكتاب أن القدس لم يحررها المسلمون عبر التاريخ إلا وهم يعيشون في جوّ الوحدة السياسية التي تبرز فيه عزة الأمة وقوتها، وإن الأمل منعقد على قادة المسلمين في تحقيق هذه الوحدة وكسر العراقيل التي تحول دونها.

وإني لأعلم أن الحافز للعمل من أجل تحرير القدس مرتبط بمدى التطلع لنيل شرفه العظيم، والاشتياق لتحصيل ثوابه الجزيل، ورغم المشاق والمصاعب التي تحف ميدان العمل التحريري والتي لا نشعر بها نحن المنظّرون والكتّاب أثناء الكتابة والتنظير، فإن الله سيسهل الأمور على ولاة الأمور العاملين لتحقيق النصر المبين إن علم صدقا في نياتهم وخيرا في قلوبهم.

قال عز وجل ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ الفتح: ١٨ - ١٩

وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ محمد: ٧

وأريد أيضا أن أحذر من منهج التحجيم والتقزيم الصهيوني للقضية الفلسطينية المتبع في جولات الصراع والمفاوضات المتعاقبة مع الكيان الصهيوني، والتي يكسب في كل جولة منها الكيان الصهيوني مكاسب جديدة ولا يعطي للمسلمين شيئا، ولا غاية عنده من التفاوض إلا أن يرسخ في أذهان الأجيال المسلمة الصاعدة فكرة أن فلسطين قضية شعب وليست قضية عقيدة وأمة، وأنه لا يصلح لتمثيل هذه القضية عنده إلا من يحسن التنازلات والانصياع والتعاون الأمني معه للمحافظة على واقع الاحتلال المرير، ومن أراد غير ذلك لا يعترف به دوليا ولا صهيونيا.

ولهذا لابد من العمل الجاد والمنظم لإعادة زخم القضية الفلسطينية العقائدي والديني في ضمير الأمة، وإعطائها حجمها الطبيعي بتمكين كل الفاعلين لتحريرها من تمثيل القضية سواء كانوا من أبناء الشعب الفلسطيني أو حكومات الدول المسلمة الداعمة للمقاومة والجهاد في فلسطين، ولابد من الانطلاق في التعامل مع الكيان الصهيوني من الوصايا القرءانية، وتفعيل المفاتيح الربانية ، لتحقيق نصرٍ موعودٍ لا ريب فيه.

وأختم هذا العرض والبيان، بحمد الله على ما وفقني إليه من الفتح والإلهام في آيات القرءان، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الثقلين من إنس وجان.

الفهـــرس

مقدمة :..... 2

إنهاء إفساد بني إسرائيل في القدس: 7

التفصيل القرءاني في المرحلة الموسوية : 17

المسجديون هم أولياء المسجد الأقصى :..... 27

المنظومة الأخلاقية لجيل التحرير:..... 35

اقتراب المواجهة الحاسمة :..... 38

الصبر أهم سلاح في الصراع الإسلامي الإسرائيلي: 41

فتنة القدس :..... 44

الرعاية الأمريكية الغربية للصهيونية : 50

رسائل الحضارة السليمانية للأمة الإسلامية : 52

إرشادات السور الأربع الطوال:..... 56

1/ منهج سمعنا و أطعنا : 57

2/منهج فلا تخشوهم واخشون : 70

3/ آفـة الفرار من الموت : 75

4/قبلة تمحيص وقبلة عبادة وقبلة وسطية وشهادة :..... 77

1/ تأسيس مجلس الصلح والعدالة الإسلامي: 85

2/إنشاء مجلس الأمن الإسلامي : 86

5/ التحذير من الربا :..... 88

6/ حماية العقل الإسلامي الواعي من التغييب :..... 94

1/شورى التزويد بالأفكار : 98

2/ **شورى المشاركة في مسؤولية تحمل القرار :**..... 99

خاتمة:.....102